

سورة البقرة

مدنية إلا آية ٢٨١ فنزلت بمنى في حجة الوداع

وآياتها مائتان وست وثمانون وهي أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

سورة البقرة

(الم) اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل حروف السور ، وهي : المص ، والر ، والمر ، وكهيعص ، وطه ، وطسم ، وطس ، ويس ، وص ، وق ، وحم ، وحم عسق ، ون . فقال قوم لا تفسر لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، قال أبو بكر الصديق : لله في كل كتاب سر ، وسره في القرآن فوأنح السور ، وقال قوم تفسر ، ثم اختلفوا فيها ، فقليل هي أسماء السور ، وقيل أسماء الله ، وقيل : أشياء أقسم الله بها ، وقيل هي حروف مقطعة من كلمات : فالألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك في سائرها ، وورد في الحديث أن بني إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أبجد على السنين التي تبقى هذه الأمة ، وسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك فلم ينكره ، وقد جمع أبو القاسم السهيلي عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة ، وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف في معناها فيتصور أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض . فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر ، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر ، والخفض على قول من جعلها مقسماتها كقولك : الله لأفعلن (ذلك الكتاب) هو هنا القرآن ، وقيل التوراة والإنجيل ، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي دل عليه سياق الكلام ويشهد له وواضع من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله «تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين» يعنى القرآن باتفاق ، وخبر ذلك : لا ريب فيه ، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه (لا ريب فيه) أى لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر في اعتقاد أهل الحق ، ولم يعتبر أهل الباطل ، وخبر لا ريب : فيه ، فيوقف عليه ، وقيل خبرها محذوف فيوقف على «لا ريب» والأول أرجح لتعينه في قوله «لا ريب» في مواضع أخر ، فإن قيل : فهلا قدم قوله فيه على الريب كقوله «لا فيها غول» ؟ فالجواب : أنه إنما قصد نفي الريب عنه . ولو قدم فيه : لكان إشارة إلى أن ثم كتاب آخر فيه ريب ، كما أن «لا فيها غول» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم الخبر (هدى) هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ، ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله «هدى للناس» وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه ، عند ما يقف على لا ريب ، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإسارة (المتقين) مفتعين من التقوى ، وقد تقدم معناه في الكتاب ، فتسكلم عن التقوى في ثلاثة فصول الأول : في فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهي خمس عشرة : الهدى كقوله «هدى للمتقين» والنصرة ، لقوله «إن الله مع الذين اتقوا» والولاية لقوله «الله ولي المتقين» والمحبة لقوله «إن الله يحب المتقين» والمغفرة لقوله «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله «ومن يتق الله

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ۖ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

يجعل له مخرجا الآية » وتيسير الأمور لقوله « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وغفران الذنوب وإعظام
الأجور لقوله « ومن يتق الله يسكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » وتقبل الأعمال لقوله « إنما يتقبل الله من
المتقين » والفلاح لقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » والبشرى لقوله « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة »
ودخول الجنة لقوله « إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم » والنجاة من النار لقوله « ثم ننجي الذين اتقوا »
الفصل الثاني : البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الآخروي ، وخوف الدنيوى ، ورجاء الثواب
الدنيوى ، ورجاء الثواب الآخروي ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر
على نعمه بطاوته ، والعلم لقوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وتعظيم جلال الله ، وهو مقام الهيبة ،
وصدق المحبة لقول القائل : —

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب إن يحب مطيع

ولله دز القائل : —

قالت وقد سألت عن حال عاشقها لله صصفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث : درجات التقوى خمس : أن يتق العبد الكفر ، وذلك مقام الإسلام ، وأن يتق المعاصى
والحرمان وهو مقام التوبة ، وأن يتق الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتق المباحات وهو مقام الزهد ،
وأن يتق حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة (الذين يؤمنون بالغيب) فيه قولان يؤمنون بالأمور
المغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل ، وإما تخفيفا فى فعيل :
كمت ، والآخر يؤمنون فى حال غيبهم أى باطنا وظاهرا ، وبالغيب على القول الأول : يتعلق يؤمنون وعلى
الثانى فى موضع الحال ، ويجوز فى الدين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أورفعا على أنه
خير مبتدأ (ويقيمون الصلاة) إقامتها : عليها من قولك : قامت السوق ، وشبه ذلك والسكال المحافظة عليها فى
أوقاتها بالإخلاص لله فى فعلها ، وتوفية شروطها ، وأركانها ، وفضائلها ، وسننها ، وحضور القلب الخشوع
فيها ، وملازمة الجماعة فى الفرائض والإكثار من النوافل (ومما رزقناهم ينفقون) فيه ثلاثة أقوال : الزكاة
لاقترانها مع الصلاة ، والثانى أنه التطوع ، والثالث العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لا دليل على التخصيص ،
(والذين يؤمنون) هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب
فيكون عطفًا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد (بما أنزل إليك) القرآن (وما أنزل من قبلك) التوراة
والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل (إن الذين كفروا) فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبى جهل ،
فإن كان الذين للجنس : فلفظها عام يراد به الخصوص ، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد
اختلف فيهم : فقليل المراد من قتل بيد من كفار قريش ، وقيل المراد حي بن أخطب وكعب بن الأشرف

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ

اليهوديان (سواء) خبر إن و(أنذرتهم) فاعل به لأنه في تقدير المصدر ، وسواء مبتدأ ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن ، و(لا يؤمنون) على هذه الوجوه : استثناء للبيان ، أولئنا كيد ، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضا ، ولا يؤمنون الخبر ، والهمزة في أنذرتهم لمعنى التسوية قد انساخت من معنى الاستفهام (ختم) الآية تعليل لعدم إيمانهم ، وهو عبارة عن إضلالهم ، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يحتم عليه ، والأول أربع ، و(على سمعهم) معطوف على قلوبهم ، فيوقف عليه ، وقيل الوقف على قلوبهم ، والسمع راجع إلى ما بعده ، والأول أرجح لقوله «وختم على سمعه وقلبه» (غشاوة) مجاز باتفاق ، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن خلافا لمن منعه ، ووحد السمع لأنه مصدر في الأصل ، والمصادر لا تجمع (ومن الناس) أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا (من يقول) إن كان اللام في الناس للجنس فن موصوفة وإن جعلتها للعهد فن موصولة وأفرد الضمير في يقول رعا للفظ ومن (وما هم بمؤمنين) هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبدالله بن أبي ابن سلول يظهرون الاسلام ويسرون الكفر ، ويسمى الآن من كذلك : زنديقا ، وهم في الآخرة مخلدون في النار ، وأما في الدنيا إن لم تقم عليهم بيته فحكمهم كالمسلمين في دماهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان ، فذهب مالك : القتل ، دون الاستتابة ، ومذهب الشافعي الاستتابة وترك القتل ، فإن قيل : كيف جاء قولهم «آمنّا» جملة فعلية وما هم بمؤمنين « جملة اسمية فهلا طابقتها ؟ فالجواب : أن قولهم «وما هم بمؤمنين» أبلغ وأكد في نفي الإيمان عنهم من لو قال ما آمنوا ، فإن قيل : لم جاء قولهم آمنّا مقيدا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين مطلقا ؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين : التقييد ، فتركه لالة الأول عليه ، والاطلاق ، وهو أعم في سلبهم من الإيمان (يخادعون) أى يفعلون فعل الخداع ، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون ، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أظهر (وما يخادعون إلا أنفسهم) أى وبال فعلهم راجع عليهم ، وقرئ وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ في المعنى ، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع ، وخدع إذا تم له (وما يشعرون) حذف معموله أى لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم (في قلوبهم مرض) يحتمل أن يكون حقيقة ، وهو الألم الذى يجذونه من الخوف وغيره ، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد (فزادهم) يحتمل الدعاء والخبر (يكذبون) بالتشديد أى يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بالتخفيف أى يكذبون في قولهم آمنّا (لا تفسدوا) أى بالكفر والنيمة وإيقاع الشر وغير ذلك (إنما نحن مصاحون) يحتمل أن يكون جمود الكفر لقولهم آمنّا ، أو اعتقاد أنهم على إصلاح

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۖ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُدُ فِي طُعْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۗ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۗ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۗ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ

(كما آمن الناس) أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل وما يحتمل أن تكون كافة كما هي وربما أن تكون مصدرية (أؤمن) إنكار منهم وتقييح (هم السفهاء) رد عليهم وإناطة السفه بهم ، وكذلك هم المفسدون ، وجاء بالآلاف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم ، وأكده بأن وبألا التي تقتضي الاستثناف وتنبيه المخاطب (قالوا آمنا) كذبوا خوفا من المؤمنين (خلوا إلى شياطينهم) هم رؤساء الكفر ، وقيل شياطين الجن ، وهو بعيد وتعدي خلا إلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا ، وقيل إلى بمعنى مع ، أو بمعنى الباء وجه قولهم (إننا معكم إنما نحن مستهزون) بحملة إسمية مبالغة وتأكيد بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم (الله يستهزئ بهم) فيه ثلاثة أقوال : تسمية للعقوبة باسم الذنب : كقوله «ومكروا ومكر الله» وقيل يلى لهم بدليل قوله «ويمددهم» وقبل يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ بهم كما جاء في سورة الحديد «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الآية» (ويمددهم) يزيدهم ، وقيل يلى لهم ، وقد ذكروا يعمهُون (اشترُوا الضلالة) عبارة عن تركهم الهدى مع تمسكهم منه ووقعهم في الضلالة فهو مجاز بديع (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للبحان ، لما ذكر الشر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأن الربح أو الخاسر هو التاجر (وما كانوا مهتدين) في هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشري نفي الربح في قوله : فما ربحت ، ونفي سلامة رأس المال في قوله : وما كانوا مهتدين (مثلهم كمثل) إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم بالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة (استوقد) أى أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل في استفعال (فلما أضاءت) إن تعدى فما حوله مفعول به ، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية (ذهب الله بنورهم) أى أذهب ، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار وذهب الله بنورهم : جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين ، فعلى هذا يكون «الذى» على بابه من الأفراد ، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذى : واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة ، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة ، فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيهة بالنور ، وعنايتهم في الآخرة شبيهة بالظلمة بعده ، والثاني : أن استخفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا» فإن قيل : لم قال «ذهب الله بنورهم» ولم يقل : أذهب الله نورهم ، مشاكلة لقوله «فلما أضاءت» فالجواب : أن إذهاب النور أبلغ لأنه لإذهاب القليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير (صم

وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ

بكم عسى) يحتمل أن يراد به المنافقون ، والمستوقد المشبه بهم ، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم ، وليس المراد فقد الحواس (فهم لا يرجعون) لأن أريد به المنافقون : فعناهم لا يرجعون إلى الهدى ، وإن أريد به أصحاب النار : فعناهم أنهم متحيرون في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق (أو كصيب) عطف على الذي استوقد ، والتقدير : أو كصاحب صيب أو للتنوين لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين ، والصيب : المطر ، وأصله صيوب ، ووزنه فعيل ، وهو مشتق من قولك صاب يصوب ، وفي قوله (من السماء) إشارة إلى قوته وشدة انصبابه ، قال ابن مسعود : إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك ، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثالا للمنافقين ، وقيل المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق ، فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه ، وهذا التشبيه على الجملة ، وقيل : إن التشبيه على التفصيل ، فالمطر مثل القرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة ، فإن قيل : لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات ؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما لأنهما في الأصل مصدران (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصواعق قال ابن مسعود : كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو على هذا حقيقة في المنافقين ، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهي التي تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار والموت أيضاً حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد ، فإن قيل : لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي تجعل في الآذان ؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة (والله محيط بالكافرين) أى لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم (يخطف أبصارهم) إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين : فهو بين في المعنى ، وإن رجع إلى المنافقين : فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين : أحدهما : تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق ، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم ، والآخر : يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم ، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان (وإذا أظلم عليهم قاموا) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ملاح لهم من الإيمان : ثبتوا على كفرهم ، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ يَسَاءُهَا النَّاسُ أَعْبَدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۖ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوا : فهذا مثل الظلمة ، فان قيل : لم قال مع الإضاءة كلها ، ومع الظلام إذا ؛ فالجواب أنهم لما كانوا حراساً على المشي ذكر معه كلها ، لأنها تقتضي التكرار والكثرة (ولو شاء الله) الآية : إن رجع إلى أصحاب المطر : فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعدية كما هي في قوله تعالى : ذهب الله بنورهم » (يا أيها الناس) الآية لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف : المؤمنين ، والكافرين والمنافقين : أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى جميع الناس (اعبدوا ربكم) يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته ، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحداً ، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركاً ، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمناً (لعلمكم) يتعلق بخلقكم : أى خلقكم لتتقوه كقوله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أو بفعل مقدر من معنى الكلام أى دعوتكم إلى عبادة الله لعلمكم تتقون ، وهذا أحسن . وقيل يتعلق بقوله « اعبدوا » وهذا ضعيف ، وإن كانت لعل للترجي فتأويله أنه في حق المخوفين جرياً على عادة كلام العرب ، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال ، والأظهر فيها أنها للمقاربة الأمر نحو عسى ، فإذا قالها الله : فمعناها أطباع العباد ، وهكذا القول فيها حيث ماوردت في كلام الله تعالى (الأرض فراشاً) تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفرش فهو مجاز وكذلك السماء بناء (من الثمرات) من للتبعيض أو لبيان الجنس ، لأن الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء في به سببية ، أو كقولك كتبت بالقلم لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرته الله تعالى (فلا تجعلوا) لا ناهية أو نافية ، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء في جواب اعبدوا ، والأول أظهر (أندادا) يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جلّ وعلا (وأنتم تعلمون) حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أى وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين ، وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق ، ويتعلق قوله فلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ، ويحتمل أن يتعلق بقوله « اعبدوا » والأول أظهر

(فوائد ثلاث) الأولى : هذه الآية ضمنّت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقتين « أحدهما » إقامة البراهين بخلقهم وخلق السموات والأرض والمطر والسموات « والآخر » ملاطمة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإناعام فذكر أولاً ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأن الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشاً والسماء بناءً ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ، لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : جعل لكم . ورزقا لكم : يدل ذلك على تخصيصه ذلك بهم في ملاطمة وخطاب بديع .

شَهِدَاءُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه لقوله في آخرها : فلا تجعلوا لله أندادا ، وذلك هو الذى يترجم عنه بقرننا : لا إله إلا الله ، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دين الإسلام الذى قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله تكون فى القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار فى الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور : وهى : أن الله موجود ، لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة ، وأنه واحد لا شريك له ، لأنه لا خالق إلا هو « أفمن يخلق كمن لا يخلق » وأنه حىّ قدير عالم مرید ، لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع ، إذ لا تصدر صنعة عن عدم صفة منها ، وأنه قديم لأنه صانع للمحدثات ، فيستحيل أن يكون مثلها فى الحدوث ، وأنه باق ، لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وأنه حكيم ، لأن آثار حكمته ظاهرة فى إتقانه للمخلوقات وتديره للملكوت ، وأنه رحيم ، لأن فى كل ما خلق منافع لبنى آدم سخر لهم ما فى السموات وما فى الأرض وأكثر ما يأتى ذكر المخلوقات فى القرآن فى معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته ، فإن قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلمكم تتقون على مخاطبين دون الذين من قبلهم ، مع أنه أمر الجميع بالتقوى ؟ فالجواب : أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ ، والمراد الجميع ، فإن قيل : هلا قال لعلمكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا ؟ فالجواب أن التقوى غاية العبادة وكما لها فكان قوله لعلمكم تتقون أبلغ وأوقع فى النفوس (وإن كنتم فى ريب) الآية لإثبات النبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدليل على أن القرآن جاء به من عند الله فلما قدم لإثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوة ، فإن قيل : كيف قال إن كنتم فى ريب ، ومعلوم أنهم كانوا فى ريب وفى تكذيب ؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء فى مثل هذا الأمر الساطع البرهان ، فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال فى الأمر الواقع ليعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى « لا ريب فيه » (على عبدنا) هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والعبودية على وجهين : عامة ، وهى التى بمعنى الملك ، وخاصة وهى التى يراد بها التشريف والتخصيص ، وهى من أوصاف أشرف العباد والله در القائل : -

لا تدعى إلا بعبدها ، فإنه أشرف أسمائى

(فأتوا بسورة) أمر يراد به التعجيز (من مثله) الضمير عائد على ما أنزلنا وهو القرآن ، ومن لبيان الجنس ، وقيل يعود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن على هذا : لا ابتداء الغاية من بشر مثله ، والأول أرجح لتعيينه فى يونس وهود ، وبمعنى مثله فى فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة (شهداءكم) آلهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم (من دون الله) أى غير الله ، وقيل هو من الدين الحقير فهو مقلوب اللفظ (ولن تفعلوا) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة ، وهو إخبار بظهير مصداقه فى الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن مع فصاحة العرب فى زمان نزوله وتصرفهم فى الكلام وحرصهم على التكذيب ، وفى الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف فى عجز الخلق عنه على قولين : أحدهما أنه ليس فى قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح ، والثانى أنه كان فى قدرتهم وصرفوا عنه ، والإعجاز حاصل على الوجهين

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۖ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلًّا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا

وقد بينا سائر وجوه إعجازه في المقدمة (فاتقوا النار) أى فآمنوا لتنجوا من النار ، وعبر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف (وقودها) حطبها (الحجارة) قال ابن مسعود : هى حجارة الكبريت لسرعة انقادها وشدة حرها وقبح رائحتها ، وقيل الحجارة المعبودة ، وقيل الحجارة على الإطلاق (أعدت) دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافا لمن قال إنها تخلق يوم القيامة ، وكذلك الجنة (وبشر) يحتمل أن تكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشري هذا لأنه أنعم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل ، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للرجئة (تجرى من تحتها الأنهار) أى تحت أشجارها وتحت مبانيها ، وهى أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع ، وروى أن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود (منها من ثمرة رزقا) من الأولى للغاية أو للتبعض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس (من قبل) أى فى الدنيا بدليل قولهم «إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين» فى الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها فى المطعم والمنظر (وأتوا به متشابهًا) أى يشبه ثمر الدنيا فى جنسه ، وقيل يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى المطعم ، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذى يدل عليه المعنى (مطهرة) من الحيض وأقذار النساء وسائر الأقذار التى تختص بالنساء كالبول وغيره ، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق (لا يستحي) تأول قوم : أن معناه لا يترك لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع فى أمر ، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب ، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله حي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً» (أن يضرب) سبب الآية أنه لما ذكر فى القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك ، وقيل المثلىين المتقدمين فى المناققين تكلموا فى ذلك فنزلت الآية ردا عليهم (مثلا ما بعوضة) إعراب بعوضة مفعول يضرب ، ومثلا حال ، أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان ، أو هما مفعولان يضرب لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين ، وماصفة للنكرة أوزائدة (فما فوقها) فى الكبر ، وقيل فى الصغر ، والأول أصح (فيعلمون أنه الحق) لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة : وضرب أمثال ، وبيان للناس ، ولأن الصادق جاءها من عند الله (ماذا أراد الله) لفظه الاستفهام ، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب ، وفى إعراب ماذا وجهان : أن تكون مامبتداً وذا خبره وهى موصولة ، وأن تكون كلمة مركبة فى موضع نصب على المفعول بأراد ، ومثلا منصوب على الحال أو التمييز (يضل به) من كلام الله جوابا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا ، وهو أيضا تفسير لما أراد

obeykandi.com

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ، وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَآوَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

كان في الأرض جن فافسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلهم ، فقام الملائكة بنى آدم عليهم (ونحن نسبح) اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار (بحمدك) أى حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين بحمدك ، فهو في موضع الحال (ونقدس لك) يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا ، وأن يكون المفعول محذوفا أى نقديسك على معنى نزهك أو نعظمك ، وتسكون اللام في لك للتعليل أى لأجلك ، أو يكون التقدير نقديس أنفسنا أى نطهرها لك (مالا تعلمون) أى ما يكون في بنى آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة (الاسماء كلها) أى أسماء بنى آدم وأسماء أجناس الأشياء للشمسية القمر والشجر وغير ذلك (ثم عرضهم) أى عرض المسميات ، وبين أشخاص بنى آدم وأجناس الأشياء (أنبؤنى) أمر على وجه التعجيز (إن كنتم صادقين) أى في قولكم إن الخليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالاسماء (لاعلم لنا) اعتراف (أنبئهم بأسمائهم) أى أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء (اسجدوا لآدم) السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله ، وآدم كالقابلة (فسجدوا) روى أن من أول من سجد لإسرافيل ، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ (إلا إبليس) استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا ، ومنقطع عند من قال كان من الجن (استكبر) لقوله أنا خير منه (وكان من الكافرين) قيل كفر بإيادته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جمود لا اعترافه بالربوبية (وزوجك) هى حواء خلقها الله من ضلع آدم ، ويقال زوجة ، وزوج هنا أفصح (الجنة) هى جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة ، خلافا لمن قال هى غيرها (لا تقربا) النهى عن القرب يقتضى النهى عن الآكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل فى سد الذرائع (الشجرة) قيل هى شجرة العنب ، وقيل شجرة الزيتون ، وقيل الخنطة ، وذلك مفقور إلى نقل صحيح واللفظ مبهم (فتكونا) عطف على تقربا ، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى (فازلها) متعدي من أزل القدم ، وأزالها بالآلف من الزوال (عنها) الضمير عائد على الجنة ، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا (فائدة) اختلفوا فى أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى ، ولم نجد له عزما ، وقيل سكر من نخر الجنة فحينئذ أكل منها ، وهذا باطل لأن نخر الجنة لا تسكر وقيل أكل عمدا وهى معصية صغرى ، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغار ، وقيل تأول آدم أن النهى

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۚ فَتَلَقَىٰ
 آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۚ قُلْنَا اهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ
 تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ۚ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۚ

كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها ، وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد
 كذبا (اهبطوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو (مستقر) موضع استقرار وهو في مدة
 الحياة ، وقيل في بطن الأرض بعد الموت (ومتاع) ما يتمتع به (إلى حين) إلى الموت (فتلقى) أي أخذ وقيل على
 قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ، فتلقى على هذا من اللقاء (كلمات) هي قوله : ربنا ظلمنا
 أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، بدليل ورودها في الأعراف ، وقيل غير ذلك (اهبطوا)
 كرر ليناط به مابعده ، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء ، والآخر من الجنة ، وأن يكون هذا الثاني
 لذرية آدم لقوله (فإما يأتينكم) إن شرطية وما زائدة للتأكيد ، والهدى هنا : يراد به كتاب الله ورسالته (فمن تبع)
 شرط ، وهو جواب الشرط الأول ، وقيل فلا خوف جواب الشرطين (يا بني إسرائيل) لما تقدم دعوة الناس عموما
 وذكر مبدأهم : دعاني إسرائيل خصوصا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء ، فتارة دعاهم
 بالملاطفة وذكر الإناعام عليهم وعلى آبائهم ، وتارة بالتخويف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر
 العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهي : وإذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحر ،
 وبعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، وعفونا عنكم ، وتاب عليكم ، ويغفر
 لكم خطاياكم ، وآتيناهم موسى الكتاب والفرقان لعلمكم تهتدون ، وانفجرت منه اثنتي عشرة عينا . وذكر من
 سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم سمعنا وعصينا ، واتخذتم العجل ، وقالوا أرنا الله جهرة ، وبذل الذين ظلموا
 ولن نصبر على طعام واحد ، ويحرفونه ، وتوليتهم من بعد ذلك ، وقست قلوبكم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم
 الأنبياء بغير حق . وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ،
 ويعطوا الجزية ، واقتلوا أنفسهم ، وكونوا قردة ، وأنزلنا عليهم رجزا من السماء ، وأخذتكم الصاعقة ، وجعلنا
 قلوبهم قاسية ، وحرمنا عليهم طبييات أحلت لهم ، وهذا كله جزاء لأبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد
 صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
 بتوبيخات آخر ، وهي : كتبناهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به ، ويحرفون الكلم ويقولون
 هذا من عند الله ، وتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل
 واتباعهم للسحر ، وقولهم نحن أبناء الله ، وقولهم يد الله مغולה (نعمتي) اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع ،
 ومعناه عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصاصهم به كالمن والسلوى ،
 والمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة ، واللفظ يعبر النعم جميعا (بعهدي) مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود
 وقيل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوي لأنه مقصود الكلام (بعهدكم) دخول الجنة

وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِلَيَّ فَاتَّقُونِ ۚ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ۚ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۚ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۚ

(ولما) مفعول بفعل مضمر مؤخر لا انفصال الضمير ، وليفيد الحصر يفسره فارهبون ، ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون ؛ لأنه قد أخذ معموله ، وكذلك إياي فاتقون (بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقاً لما معكم) أى مصدقاً للتوراة ، وتصديق القرآن للتوراة وغيرها ، وتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان : أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به ، والآخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتاب ، فهو مصدق لهم أى شاهد بصدقهم ، والثالث أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك (ولا تكونوا أول كافر به) الضمير عائد على القرآن وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به ، ولا يقتضى إباحة الكفر في ثانی حال ؛ لأن هذا مفهوم معطل ؛ بل يقتضى الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره ، ولما يعرفون من علامته ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً : الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال ؛ كقوله : اشتروا الضلالة بالهدى ، والآيات هنا هي الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والثمن القليل ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالآجرة فهو عن ذلك ، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن (الحق بالباطل) الحق هنا يراد به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والباطل الكفر به ، وقيل الحق التوراة ، والباطل ما زادوا فيها (وتكتمون) معطوف على النهي ، أو منصوب بإضمار أن في جواب النهي ، والواو بمعنى الجمع ، والأول أرجح ، لأن العطف يقتضى النهي عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ، فإنه إنما يقتضى النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراده (وأنتم تعلمون) أى تعلمون أنه حق (الصلاة وآتوا الزكاة) يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضى الأمر بالدخول في الإسلام (واركعوا) خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لأن صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع ، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد (مع الراكعين) مع المسلمين فيقتضى ذلك الأمر بالدخول في دينهم ، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة (أتأمرون) تفریع وتوبيخ لليهود (بالبر) عام في أنواعه ؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له ، وقيل كان الأحبار يأمرؤن من نصحوه في السر باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتبعونه ، وقال ابن عباس : بل كانوا يأمرؤن باتباع التوراة ، ويخالفون في جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (تنسون) أى تتركون ، وهذا تفریع (تتلون الكتاب) حجة عليهم (أفلا تعقلون) توبيخ (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى

يٰۤاِبْنِيۤ اِسْرَآءِيْل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِيۤ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاِنِّيۤ اَفْضَلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِيۤ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَاِذْ نَجَّيْنٰكُمْ مِّنْ اِلٰه فِرْعَوْنَ يَسُومُوْنَكُمْ سُوۤءَ الْعَذَابِ يَذُبُّوْنَ اَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَاءَكُمْ وَفِيۤ ذٰلِكُمْ بَلَاۤءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ ۝ وَاِذْ فَرَقْنَا

ركعتين وقرأ الآية ، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة ، وقيل الصبر هنا الصوم ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (وإنها) الضمير عائد على العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة (الكبيرة) أى شاقة صعبة (يظنون) هنا يتيقنون (على العالمين) أى أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه قاهو كثرة الأنبياء وغير ذلك (لا تجزى) لا تغنى شيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف ، والجملة فى موضع الصفة ، وحذف الضمير أى فيه (ولا يقبل منها شفاعاة) ليس نفي الشفاعاة مطلقا فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعاة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » ولقوله « مامن شفيع إلا من بعد إذنه » ولقوله « ولا تنفع الشفاعاة إلا لمن أذن له » وانظر ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن فى الشفاعاة فيقال له : اشفع تشفع . فكل ماورد فى القرآن من نفي الشفاعاة مطلقا يحمل على هذا لأن المطلق يحمل على المقيد ، فليس فى هذه الآيات المطابقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعاة (عدل) هنا فدية (ولاهم ينصرون) جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس (وإذ نجيناكم) تقديره اذكروا إذنجيناكم أى نجينا آبائكم ، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم ، فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإناعام على الآباء إناعام على الأبناء ، ومن ذكر مساويهم لأن ذريتهم راضون بها (من آل فرعون) المراد من فرعون وآله ، وحذف لدلالة المعنى ، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لأقربائه خاصة ، ويقال إن اسمه الوليد بن مصعب ، وهو من ذرية عمليق ، ويقال فرعون لكل من ولى مصر ، وأصل آل : أهل ، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف (فائدة) كل ما ذكره فى هذه الصور من الأخبار معجزات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم (يسومونكم سوء العذاب) أى يلزمونهم به ، وهو استعارة من السوم فى البيع وفسر سوء العذاب بقوله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولذلك لم يعطفه هنا ، وأما حيث عطفه فى سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك ، وعطف لاختلاف اللفظة ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل (١) وقيل إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل فى ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك ، وروى أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن ، وقيل بل وكل على ذلك القوابل ، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضد الموت (فرقنا بسكم البحر) فصلناه وجعلناه فرقا اثني عشر طريقا على عدد

(١) كذا بالأصل ولعل هنا سقطت وهى : ، أنه رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلى بها ولم تعرض لبنى إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل ، — كما فى تفسير الخطيب اه مصححه

بِكُمُ الْبَحْرِ فَاَنْجَيْنَاكُمْ وَاَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ وَاِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَاِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَاِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ وَاِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى الْاِلَهَ جَهْرَةً فَاَخَذْتُمْ الصُّلْعَةَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَلَٰكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَاِذْ قُلْنَا اَدْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَاِذْ اَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة ، والبحر المذكور هنا : هو بحر القلزم (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) هي شهر ذى القعدة وعشر ذى الحجة وإنما خص الليالي بالذكر لأن العام بها والأيام تابعة لها ، والمراد أربعين ليلة بأيامها (اتخذتم العجل) اتخذتموه إلهاً ، لحذف لدلالة المعنى (من بعده) أى بعد غيبته فى الطور (الكتاب) هنا التوراة (والفرقان) أى المفرق بين الحق والباطل ، وهو صفة للتوراة ، عطف عليها لاختلاف اللفظ ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر ، وقيل آتيننا موسى التوراة وآتيننا محمداً الفرقان ، وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه (فاقتلوا أنفسكم) أى يقتل بعضهم بعضاً كقوله «سلوا على أنفسكم» وروى أن من لم يعبد العجل قتل من غده وروى أن الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضاً حتى بلغ القتلى سبعون ألفاً فعنى الله عنهم وإنما خص هنا اسم البلد لأن فيه توبيخاً للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذى براكم ، ومعنى البارى : الخالق (فتاب عليكم) قبله محذوف لدلالة الكلام عليه ، وهو فحوى الخطاب أى ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم (لن تؤمن لك) تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد (جهره) عياناً (الصاعقة) الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أديهم ، وجرامتهم على الله ، (وظللنا) أى جعلنا الغمام فوقهم كالظله يقيهم حر الشمس ، وكان ذلك فى التيه ، وكذا أنزل عليه فيه المن والسلوى تقدم فى اللغات (كلوا) معمول لقول محذوف (هذه القرية) بيت المقدس ، وقيل أريحا ، وقيل قريب من بيت المقدس (فكلوا) جاء هنا بالفاء التى للترتيب ، لأن الأكل بعد الدخول ، وجاء فى الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا ، لأن الدخول لا يتأتى معه السجود ، وقيل متواضعين (حطة) تقدم فى اللغات (وسنزيد) أى نزيدهم أجراً إلى المغفرة (فبدل) روى أنه قالوا : حنطة ، وروى : حبة فى شعرة (الذين ظلموا) يعنى المذكورين ، وضع الظاهر موضع

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّاءِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَلَةً ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۚ

المضمر لقصد ذمهم بالظلم ، وكرره زيادة في تقييح أمرهم (رجزا) روى أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا (استسقى) طلب السقيا لما عطشوا في التيه (الحجر) كان مربعا ذراعا في ذراع : تفجر من كل جهة ثلاث عيون ، وروى أن آدم كان أهبطه من الجنة ، وقيل هو جنس غير معين ، وذلك أبلغ في الإعجاز (فانفجرت) قبله محذوف تقديره : فضربه فانفجرت (مشربهم) أى موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط عين (كلوا) أى من المن والسلوى ، واشربوا من الماء المذكور (فومها) هى الثوم ، وقيل الحنطة (أدنى) من الأدنى الحقيق وقيل أصله أدون ، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه (مصر) قيل البلد المعروف «وأورثناها بنى إسرائيل» يعنى مصر (ضربت) أى قضى عليهم بها ، وألزموها وجعله الزخشرى استعارة من ضرب القبة لأنها تعلو الإنسان وتحيط به (المسكنة) الناقة ، وقيل الجزية (ذلك بأنهم) الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب ، والباء للتعليل (آيات الله) الآيات المتلوات أو العلامات (بغير الحق) معنوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق ، وذلك أفصح (فائدة) قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد ، لأنه قد تقرر الموت واجب لقتل النفس ، وقال فى الموضع الآخر من آل عمران «بغير حق» بالتنكير لاستغراق النفي . لأن تلك نزلت فى المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك بما عصوا) يحتمل أن يكون تأكيذا للأول ، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر ، والباء للتعليل . أى اجتروا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا فى العصيان والعدوان (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية : قال ابن عباس نسخها «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فإن يقبل منه» وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيماناً صحيحاً فله أجره ، فيكون فى حق المؤمنين الثبات إلى الموت ، وفى حق غيرهم الدخول فى الإسلام ، فلا نسخ ، وقيل لأنها غيبت كان قبل بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا نسخ (من آمن) مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل ، (فلهم أجرهم) خبر إن (ورفعنا فوقكم الطور) لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم (بقوة) جد فى العلم بالتوراة أو العمل بها (اعتدوا منكم فى السبت) اصطادوا

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۚ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ۚ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ ۚ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ ۚ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ۚ صَفْرَاءٌ ۚ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ۚ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ ۚ لَا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۝ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۚ وَاللَّهُ مَخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْتَلُونَ ۝ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ

فيه الحوت وكان محرما عليهم (كونوا قردة) عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أو خبر ثان ، ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب (فجعلناها) الضمير للفعلة وهي المسخ (نكالا) أى عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر ، وقيل عبرة لمن تقدم ومن تأخر (أن تذبحوا بقرة) قصتها أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القاتل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا (أتخذنا هزوا) جفاء وقلة أدب ، وتكذيب (فارض) مسنة (بكر) صغيرة (عوان) متوسطة (بين ذلك) أى بين ما ذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين (صفراء) من الصفرة المفروقة ، وقيل سوداء وهو بعيد والظاهر صفراء كلها وقيل القرن والظلف فقط ، وهو بعيد (فاقع) شديد الصفرة (تسر الناظرين) لحسن لونها ، وقيل لسمها ومنظرها كله (لاذلول) غير مدللة للعمل (تثير الأرض) أى تحرثها وهو داخل تحت النفي على الأصح (ولا تسقى الحرث) لا يسقى عليها (مسلمة) من العمل أو من العيوب (لا شية) لالعة غير الصفرة ، وهو من وشى ففأوه واو محذوفة كعدة (الآن جئت بالحق) العامل فى الضرب جئت بالحق ، وقيل العامل فيه مضمير تقديره الآن تذبحوها ، والأول أظهر فإن كان قولهم : أتخذنا هزوا : هكذا ؛ فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين (وما كادوا) لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهباً أو لقلّة وجود تلك الصفة ، فقد روى أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم (وإذ قتلتم نفسا) هو أول قصة البقرة فرتبته التقديم (إن الله يأمركم) قال الزحشرى إنما آخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر ، وقتل النفس ولو قدم إمكان قصة واحدة بتوبيخ واحد (فاذارأتم) أى اختلفتم وهو من المدارأة أى المدافعة (ما كنتم تكتمون) من أمر القاتل ومن قلة (اضربوه) القاتل أو قريبه (ببعضها) مطلقا ، وقيل الفخذ وقيل اللسان ، وقيل الذنب (كذلك)

أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًى وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتِيبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا أَنْ تَمْسَسْنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةٌ قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ

إشارة إلى حياة القتييل واستدلال بها على الإحياء للبعث ، وقبله محذوف لا بد منه تقديره ففعلوا ذلك فقام القتييل ((فائدة)) استدلال المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني ، وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة ، وقصته معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره ، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك (قسمت قلوبكم) خطاباً لبني إسرائيل (من بعد ذلك) أى بعد إحياء القتييل وما جرى فى القصة من العجائب ، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات (أو أشد) عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أى هى أشد ، وأوهنا إما للإيهام أو للتخيير : كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة ، أو بما هو أشد قسوة كالحديد ، أو التفضيل أى فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبئ منه أفعـل اكون أشد أدل على فرط القسوة (وإن من الحجارة) الآية : تفضيل الحجارة على قلوبهم (يهبط) أى يتردى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها ، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله (أفتطمعون) خطاب للمؤمنين (أن يؤمنوا) يعنى اليهود وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد (فريق منهم) السبعون الذى يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه ، وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة (من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) بيان لقبح حالهم (قالوا آمنا) قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم (أتحدثونهم) توبيخ (بما فتح الله عليكم) فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما فى كتبهم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام ، وكل وجه حجة عليهم ، ولذلك قالوا (ليحاجوكم به عند ربكم) قيل فى الآخرة وقيل أى فى حكم ربكم وما أنزل فى كتابه ، فعنده بمعنى حكمه (أفلا تعقلون) من بقية كلامهم توبيخا لقولهم (ولا يعلمون) الآية من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم (ومنهم أميون) أى الذين لا يقرؤن ولا يكتبون فهم (لا يعلمون الكتاب) والمراد قوم من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح ، لأن الكلام كله من اليهود (إلا أمانى) تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، وماتتمناه النفوس (بأيديهم) تحقيق لا فرائهم (ثمنا قليلا) عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أوهى الذنوب (أياما

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ بَلَىٰ أَمَّا مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ۖ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۖ ثُمَّ أَتَمَّ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ فَتُفَادُوهُمْ ۚ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوَمِنُونِ بَعْضُ الْكُتَّابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٌ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفِ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا يُنصَرُونَ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

معدودة (أربعين يوما عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام) (تخدمتم) الآية : تقرير يقتضى إبطال (بلى) تحقيق لطول مكثهم في النار ولقولهم ما لا يعلمون (من كسب سيئة) الآية : في الكفار لأنهم رد على اليهود ، ولقوله بعدهما « والذين آمنوا » فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار (لا تعبدون إلا الله) جواب لقسم يدل عليه الميثاق ، وقيل خبر بمعنى النهي ، ويرجحه قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بأن لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن (وبالوالدين) يتعلق بإحسان ، أو بمحذوف تقديره أحسنوا ، ووكد بإحسانا (وذى القرابة) (اليتامى) جمع يتيم : وهو من فقد والده قبل البلوغ ، واليتيم من سائر الحيوان : من فقد أمه ، وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الآثم ، فقدم الوالدين لحة هما الأعظم ، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ، ثم اليتامى لقلة حيلتهم ، ثم المساكين (لا تسفكون دماءكم) لا يسفك بعضكم دم بعض ، وإعرا به مثل لا تعبدون (ولا تخرجون أنفسكم) لا تخرج بعضكم بعضا (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وأتم تشهدون) بأخذ الميثاق عليكم (هؤلاء) منصوب على التخصيص بفعل مضمر ، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حالا لازمة تم بها المعنى (تقتلون أنفسكم) كانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير : حلفاء الخزرج ، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه ، ويتقيه من موضعه إذا ظفر به (تظاهرون) أى تتفاوتون (تفادوهم) قرئ بالالف وحذفها والمعنى واحد ، وكذلك أسارى بالالف وحذفها جمع أسير (وهو محترم) الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره محترم (وإخراجهم) بدل والضمير للأمر والشأن ، وإخراجهم : مبتدأ ، ومحترم خبره ، والجملة خبر الضمير (أفتؤمنون ببعض الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم (وتكفرون ببعض) القتل والإخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم (خزى) الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم ، أو مطلق (وقفينا

لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۖ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ۚ إِنَّ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءٌ وَابْغَضَ عَلَىٰ الْغَضَبِ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَأْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ
الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَىٰ

من بعده بالرسول) أى جئنا من بعده بالرسول ، وهو مأخوذ من القفا أى جاء بالثانى فى قفا الاول (بالبينات)
المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك (روح القدس) جبريل ، وقيل الإنجيل ، وقيل الاسم الذى كان يكنى
به الموتى ، والاول أرجح لقوله (قل نزله روح القدس) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان : اللهم أیده
بروح القدس (تقتلون) جاء مضارعاً بالغة لأنه أيد استحضاره فى النفوس أولاً ثم حاولوا قتل محمد صلى الله
عليه وآله وسلم لولا أن الله عصمه (غلغ) جمع أغلف : أى عليها غلاف ، وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله)
رداً عليهم ، وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم (فقليلاً) أى إيماناً قليلاً (ما يؤمنون) ما زائدة ، ويجوز أن
تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم فى الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل
وكفروا ببعض (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق) تقدم أن له ثلاثة معان (يستفتحون) أى ينتصرون
على المشركين ، إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين
قد أظل زمان نبي يخرج فقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وقيل يستفتحون : أى يعرفون الناس النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ، والسين على هذا للمبالغة كما فى استعجب واستسخر ، وعلى الاول للطلب (فلما جاءهم ما عرفوا)
القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المبرد : كفروا جواباً لما الاولى والثانية ، وأعيدت
الثانية لطول الكلام ، ولقصد التأكيذ ، وقال الزجاج : كفروا جواباً لما الثانية ، وحذف جواب الاولى
للاستغناء عنه لذلك ، وقال الفراء جواب لما الاولى فلما ، وجواب الثانية كفر (على الكافرين) أى عليهم
يعنى اليهود ، ووضع الظاهر موضع المضمحل ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم ، واللام للعهد أو للجنس ، فيدخلون
فيها مع غيرهم من الكفار (بئسما) فاعل ليس مضمحل وما مفسرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفراء :
بئسما مركب كحبك وقال الكاسى مامصدرية أى اشترا كههم فهى فاعله (اشتروا) هنا بمعنى باعوا (أن يكفروا)
فى موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم فى بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير فى به (بما أنزل
الله) القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن ينزل) فى موضع
مفعول من أجله (من فضله) القرآن والرسالة (من يشاء) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى أنهم
إنما كفروا حسداً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما تفضل الله عليه بالرسالة (بغضب على غضب) لعبادتهم
العجل ، أو لقولهم عزيز ابن الله ، أو لغير ذلك من قبائحهم (بما أنزل الله) القرآن (بما وراه) أى بما بعده

بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۖ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بَلَّسْنَا بَأْمُرِكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۖ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يَعْمُرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا

وهو القرآن (فلم تقتلون) ردًا عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضى هؤلاء به (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدر في إيمانهم وجوابها يدل عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها والاول أظهر (بالبينات) يعنى المعجزات: كالعصا، وقلق البحر، وغير ذلك (اتخذتم العجل) ذكر هنا على وجه الزم لهم، والإبطال بقولهم: نؤمن بما أنزل علينا، وكذلك رفع الطور، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله «ثم عفونا عنكم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته» وعطفه ثم في الموضوعين إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك (من بعده) الضمير لموسى عليه السلام: أى من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور (سمعنا وعصينا) أى سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال، أو بلسان الحال (وأشربوا) عبارة عن تمسك حب العجل من قلوبهم، فهو مجاز تشبيهًا بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الصواب وفي الكلام مخدوف أى أشربوا حب العجل وقيل إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الماء فشربه، فالشرب على هذا حقيقة ويرد هذا قوله في قلوبهم (بكفرهم) الباء سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة (بأمركم) إسناد الأمر إلى إيمانهم، فهو مجاز على وجه التهم، فهو كقولك أصلاتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم (إن كنتم) شرط أو نفى (فتمنوا الموت) بالقلب أو اللسان أو باللسان خاصة، وهذا أمر على وجه التعميز والتبكيك، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وروى أنهم لو تمنوا الموت لما اتوا، وقيل إن ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دامت طول حياته (ولن يتمنوه) إن قيل: لم قال في هذه السورة: ولن يتمنوه، وفي سورة الجمعة: ولا يتمنونه فنفي هنا بلن، وفي الجمعة بلا، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، الجواب أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلًا وهو قوله إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التي تخص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالًا، وهو قوله إن زعمتم أنكم أولياء لله جاء جوابه بلا: التي تدخل على الحال، أو تدخل على المستقبل (بما قدمت) أى لسبب ذنوبهم وكفرهم (عليهم بالظالمين) تهديد لهم (ومن الذين أشركوا) فيه وجهان: أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله فيوصل به، والمعنى أن اليهود أحصر على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال أحصر من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا، والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله، والمعنى: من الذين أشركوا قوم (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) مخدوف الموصوف، وقيل أراد به المجوس، لأنهم يقولون للملكهم عيش

يَعْمَلُونَ ۖ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۚ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۚ أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ
اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ كَانِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۚ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَيِّنَاتٍ وَهَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ

ألف سنة ، والأول أظهر ؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود ، وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم (وما هو بمنزلة حذره)
الآية : فيها وجهان : أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم ، وأن يعمر فاعل لمزحزحه ، والآخر أن يكون
هو للتعمير وأن يعمر بدل (من كان عدوًّا لجبريل) الآية : سببها أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
جبريل عدونا لأنه ملك الشدائد والعذاب . فذلك لا يؤمن به ، ولو جاءك ميكائيل لآمننا بك ؛ لأنه ملك الأمطار
والرحمة (فإنه نزل) فيه وجهان : الأول فإن الله نزل جبريل ، والآخر فإن جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ، لأن
قوله مصدقا لما بين يديه : من أوصاف القرآن والمعنى الرد على اليهود بأحد وجهين : أحدهما من كان عدوًّا
لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه لأنه نزل على قلبك فهو مستحق للحجة ، ويؤكد هذا قوله وهدي وبشري ، والثاني
من كان عدوًّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزل على قلبك ، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل (وجبريل ، وميكائيل)
ذكرنا بعد الملائكة تجديدًا للتشريف والتعظيم (أوكلها) الواو للعطف ، قال الأخفش زائدة (نبذه فريق منهم)
نزلات في مالك بن الصيف اليهودي وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهداً نؤمن بمحمد رسول يعنى محمداً صلى
الله عليه وآله وسلم (كتاب الله) يعنى القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو المتقدمين
(ماتلو) هو من القراءة أو الاتباع (على ملك) أى فى ملك أو عهد ملك سليمان (وما كفر سليمان) تبرئة له مما نسبوه
إليه ، وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود إنما
كان سليمان ساحراً ، وقيل إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى السكهان ، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك
ودفنه ، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان (وما كفر سليمان) بتعليم السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عليه
السلام (وما أنزل) نفى أو عطف على السحر عليهما ، إلا أن ذلك يردّه آخر الآية ، وإن كانت معطوفة بمعنى
الذى فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر ، وقرئ المملكين
« بكسر اللام » وقال الحسن : هما عليجان ، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية (ببابل) موضع معروف
(هاروت وماروت) اسمان علمان بدل من المملكين أو عطف بيان (إنما نحن فتنة) أى محنة ، وذلك تحذير من
السحر (فلا تكفر) أى بتعليم السحر ، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفراً (يفرقون) زوال العصمة

بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ۚ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

أو المنع من الوطاء (يضرهم) أى فى الآخرة (علموا) أن اليهود والشیاطین : أى اشتغلوا به ، وذكر الشری ، لأنهم كانوا یعطون الأجرة علیه (شروا) هنا بمعنى باعوا (لمثوبة) من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة إسمية وعدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره وقيل الجواب محذوف أى لا ثبوت (لو كانوا یعلمون) فى الموضوعین نفی لعلمهم (لا تقولوا راعنا) كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله راعنا ، وذلك من المراقبة أى راقبنا وانظرنا ، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء ، فهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون واقصده اليهود ، فالنهي سدا للذريعة ، وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم ، فهو من النظر والانتظار ، وقيل : إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير (واسمعوا) عطف على قولوا لا على معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد (ما يود الذين كفروا) جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب ، ولذلك فسرهم بهما ، ومعنى الآية أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيراً على المسلمين (من خير) من للتبعيض ، وقيل زائدة لتقدم النفي فى قوله ما يود (برحمته) قيل القرآن وقيل النبوة وللعموم أولى ، ومعنى الآية : الرد على من كره الخير للمسلمين (ما ننسَخ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما ، وقرئ بضم النون : أى تأمر بنسخه (أو ننسها) من النسيان ، وهو ضد الذكر : أى ينسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله كقوله « سنقرؤك فلا تنسى إلا ما شاء الله » أو بمعنى الترك : أى تتركها غير منزلة : أى غير منسوخة ، وقرئ بالهمز بمعنى التأخير : أى تؤخر إنزالها أو نسخها (بخير) فى خفة العمل ، أو فى الثواب (قدیر) استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات ، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله ، وهو جائز عقلاً ، وواقع شرعاً فكما نسخت شريعتهم ما قبلها ، نسختها ما بعدها (تسألوا رسولكم) أى تطلبوا الآيات ، ويحتمل السؤال عن العلم ، والأول أرجح لما بعده ، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى ، وهو قولهم له : أرنا الله جهرة (ود كثير من

الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۖ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ
كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي
خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ
وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۖ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ

أهل الكتاب) أى تمنوا ، ونزلت الآية فى حى بن أخطب وأمىة بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا
يحرصون على فتنه المسلمين ، ويطمعون أن يرتدوهم عن الإسلام (حسدا) مفعول من أجله ، أو مصدر فى موضع
الحال ، والعامل فيه ما قبله ، فيجب وصله معه ، وقيل هو مصدر ، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم
حسدا ، فعلى هذا يوقف على ما قبله ، والأول أظهر وأرجح (من عند أنفسهم) يتعلق بحسدا وقيل بيود
(فاعف) منسوخ بالسيف (بأمره) يعنى إباحة قتلهم أو وصول آجالهم (وقالوا لن يدخل الجنة) الآية : أى
قالت اليهود لن يدخل الجنة : إلا من كان يهوديا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا (هودا)
يعنى اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به وقال الفراء : حذفته منه يهودا على غير قياس (أمانهم)
أكاذيبهم أو ما يمتنون به (هاتوا) أمر على وجه التعجيز ، والرد عليهم ، وهو من : هاتى ، يهاتى ، ولم ينطق به ،
وقيل أصله : آتوا ، وأبدل من الهمزة هاء (بلى) إيجاب لما نفوا : أى يدخلها من ليس يهوديا ، ولا نصرانيا
(من أسلم وجهه لله) أى دخل فى الإسلام وأخلص ، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان (وقالت
اليهود) الآية : سبها : اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى (وهم يتلون) تصحيح
لقولهم مع تلاوتهم الكتاب (الذين لا يعلمون) المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم (منع مساجد الله)
لفظه الاستفهام ومعناه : لا أحد أظلم منه حيث وقع : قريش منعت الكعبة ، أو النصارى منعوا بيت المقدس
أو على العموم (خائفين) فى حق قريش ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ينجى بعد هذا العام مشرك ، وفى
حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية (خزى) فى حق قريش غلبتهم وفتح مكة ، وفى حق
النصارى : فتح بيت المقدس أو الجزية (فأينما تولوا) فى الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة فى سفر إلى غير
القبلة بسبب الظلمة فنزلت ، وقيل هى فى نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته ، وقيل هى راجعة إلى
ما قبلها : أى إن منعم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم ، وقيل لأنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة ،
فهى كقوله بعد هذا « قل لله المشرق والمغرب . الآية » والقول الأول هو الصحيح ، ويؤخذ منه أن من

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَسَتْونَ ۖ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ

أخطأ القبلة ، فلا تجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك (وجه الله) المراد به هنا رضاه كقوله « ابتغاء وجه الله » أى رضاه ، وقيل معناه الجهة التى وجهه إليها ، وأما قوله « كل شيء هالك إلا وجهه » ، ويبقى وجه ربك » فهو من التشابه الذى يجب التسليم له من غير تكليف ، ويرد عليه إلى الله ، وقال الأصوليين : هو عبارة عن الذات أو عن الوجود ، وقال بعضهم : هو صفة ثابتة بالسمع (وقالوا اتخذ) قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت الصابئون وبعض العرب : الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لهم عن قولهم (بل له) الآية رد عليهم لأن الكل ملكه ، والعبودية تنافى النبوة (قاتنون) أى طائعون منقادون (بديع السموات) أى مخترعها وخالقها ابتداء (وإذا قضى أمرا) أى قدره وأمضاه ، قال ابن عطية يتحد فى الآية المعنيان ، فعلى مذهب أهل السنة قدر فى الأزل وأمضى فيه ، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد ، قلت : لا يكون قضى هنا بمعنى قدر ، لأن القدر قديم ، وإذا تقتضى الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم ، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أو فعل أو وجد كقوله : فقضاهن سبع سموات ، وقد قيل إنه بمعنى ختم الأمر ، وبمعنى حكم ، والأمر هنا بمعنى الشيء ، وهو واحد الأمور ، وليس بمصدر أمر يأمر (فإنما يقول له كن فيكون) قال الأصوليون : هذا عبارة عن تعود قدرة الله تعالى وليس بقول حقيق لأنه إن كان قول كن خطابا للشيء فى حال عدمه لم يصح ، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابا فى حال وجوده لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة : أحدها : أن الشيء الذى يقول له كن فيكون هو موجود فى علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا ، والثانى : أن قوله كن لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبرى ، والثالث : أن ذلك خطابا لمن كان موجودا على حاله فبأن يكون على حالة أخرى : كاحياء الموتى ، ومسوخ الكفار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص والرابع : أن معنى يقول له : يقول من أجله ، فلا يلزم خطابه : والأول أحسن هذه الأجوبة ، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد فى هذه الآية : أن الله عز وجل لم يزل أمرا للمعدومات بشرط وجودها ، فكل ما فى الآية مما يقتضى الاستقبال ، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن ، فيكون رفع على الاستثناء ، قال سيبويه : معناه فهو يكون ، قال غيره : يكون عطف على يقول ، واختاره الطبرى ، وقال ابن عطية : وهو فاسد من جهة المعنى ، ويقتضى أن القول مع التكوين والوجود ، وفى هذا نظر (وقال الذين لا يعلمون) هم هنا وفى الموضع الأول كفار العرب على الأصح ، وقيل هم اليهود والنصارى (لولا يكلمنا الله) لولا هنا عرض ، والمعنى أنهم قالوا : لن تؤمن حتى يكلمنا الله (أو تأتينا آية) أى دلالة من المعجزات كقولهم لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا وما بعده (كذلك قال الذين من قبلهم) يعنى اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب ، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى ، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين (تشابهت قلوبهم) الضمير للذين لا يعلمون ، وللذين من قبلهم ، وتشابه قلوبهم فى الكفر أو فى طلب

الْجَحِيمِ ۖ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۚ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۚ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّىٰ فَضَلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۚ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ۚ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۚ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مالا يصح أن يطلب ، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله (قد بينا الآيات) أخبر تعالى أنه قد بين الآيات لعنادهم (إنا أرسلناك بالحق) خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق التوحيد ، وكل ما جاءت به الشريعة (بشيرا ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة ، وتنذر الكافرين بالنار ، وهذا معنى حديث وقع (ولا تسأل) بالجزم نهى ، وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت ، وقيل إن ذلك على معنى التهويل كقولك : لا تسأل عن فلان لشدة حاله ، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام : أى لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم (ملتهم) ذكرها مفردة وإن كانت ملتين ؛ لأنهما متفقتان في الكفر ، فكأنهما ملة واحدة (قل إن الهدى هدى الله) لا ما عليه اليهود والنصارى ، والمعنى : أن الذى أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقى لأنه هدى من عند الله بخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى ، ويعنى به ما هم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى ، والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ، فهو على معنى الفرض والتقدير ، ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى المسلمين ، والكتاب على هذا : القرآن ، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل ، والكتاب على هذا التوراة ، ويحتمل العموم ، ويكون الكتاب اسم جنس (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما يجب من التدبر له والعمل به ، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامثال أوامره واجتناب نواهيه ، والأولى أظهر ، فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر فى معنى القراءة لاسيما إذا كانت تلاوة الكتاب ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ، ويكون الخبر أولئك يؤمنون ، وهذا أرجح ، لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن (يا بنى إسرائيل) الآية : تقدم الكلام على نظيرتها (وإذ ابتلى) أى اختبر ، فالعامل فى إذ فعل مضمر تقديره اذكر ، وقوله (بكلمات) قيل : مناسك الحج ، وقيل : خصال الفطرة العشرة ، وهى : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، وقص الأظافر ، وتنف الإبطين ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ، وقيل هى ثلاثون خصلة : عشرة ذكرت فى براءة من قوله : التائبون العابدون ، وعشرة فى الأحزاب من قوله : إن المسلمين والمسلمات ، وعشرة فى المعارج من قوله : إلا المصلين (فأتمهن) أى عمل بهن (ومن ذريتي)

مُصَلَّى وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۖ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ
كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۖ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ
وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۖ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ

استفهام أو رغبة (عهدي) الإمامة (البيت) الكعبة (مثابة) اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع ، لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام (واتخذوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام ، وبالسكسر إخبار لهذه الأمة ، وافق قول عمر رضى الله عنه : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته ، وقيل لبنى إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله : اذكروا نعمتي ، وهذا بعيد (من مقام إبراهيم) هو الحجر الذى صعد به حين بناء الكعبة ، وقيل المسجد الحرام (وعهدنا) عبارة عن الأمر والوصية (طهرايتي) عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله : أسس على التقوى وقيل المعنى طهرا عن عبادة الأصنام (للطائفين) هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء القادمون على مكة والأول أظهر (والعاكفين) هم المعتكفون فى المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون من الغرباء ، وقيل أهل مكة ، والعكوف فى اللغة اللزوم (بلدا) يعنى مكة (آمنا) أى مما يصيب غيره من الخسف والعذاب ، وقيل آمنا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض ، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة ، وهذا أرجح لقوله : أولم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، فإن قيل : لم قال فى البقرة «بلدا آمنا» فعرف فى إبراهيم ، ونكر فى البقرة ؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم فى البقرة ذكر البيت فى قوله : القواعد من البيت ، وذكر البيت يقتضى بالملازمة ذكر البلد الذى هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريف ، بخلاف آية إبراهيم ، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضى ذكر البلد ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف «الجواب الثانى» قاله السهلبى وهو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التى للحضور : كقوله : كقولك : هذا الرجل ، وهو حاضر ، بخلاف آية البقرة ، فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور ، وفى هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشاركة أنه قال هذا بلد آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وقال هذا البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضى أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين (من آمن) بدل بعض من كل (ومن كفر) أى قال الله وأرزق من كفر لأن الله يرزق فى الدنيا المؤمن والكافر (ربنا تقبل منا) على حذف القول أى يقولان ذلك (وأرنا مناسكنا) علمنا موضع الحج وقيل العبادات (فيهم) أى فى ذريتنا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنادعوة أبى إبراهيم» والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان ، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا (آياتك)

ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ
نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسَلْتُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ۝
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ ۚ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ
وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝
فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ۝ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۝ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

هنا القرآن (والحكمة) هنا هي السنة (ويزكيهم) أي يطهرهم من الكفر والذنوب (سفه نفسه) منصوب على
التشبيه بالمفعول به ، وقيل الأصل في نفسه ثم حذف الجار فانتصب وقيل تمييز (وأوصى بها) أي بالكلمة والملة
(ويعقوب) بالرفع عطف على إبراهيم ، فهو موصى ، وقرئ بالنصب عطفا على نبيه فهو موصى (أم كنتم)
أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار ، وإسماعيل كان عمه ، والعم يسمى أبا (وقالوا كونوا) أي قالت
اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (بل ملة) منصوب بإضمار فعل (لا نفرق) أي لا تؤمن
بالبعض دون البعض ، وهذا برهان ، لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم
تناقض (فسيكفيكمهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بنى قريظه وأجلى بنى النضير وغير ذلك (صبغة الله) أي دينه
وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره ، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعاني المتقدمة أو بدل من ملة
إبراهيم (كنتم شهادة) من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفة (من الله) يتعلق بكنتم أو كأن المعنى شهادة
تخلصت له من الله (سيعول) ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه ، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ لَّعْمًا ۚ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ

قولهم (السفهاء) هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون (ماولاهم) أى ماولى المسلمين (عن قبلتهم) الأولى وهى بيت المقدس إلى الكعبة (لله المشرق والمغرب) الآية : ردّا عليهم لأن الله يحكم مايريد ، ويولى عباده حيث شاء ، لأن الجهات كلها له (وكذلك) بعد ما هديناكم (جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا (شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عليكم شهيدا) أى بأعمالكم ، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخى عيسى : وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الآية ، فإن قيل : لم قدم المجرور فى قوله عليكم شهيدا وأخره فى قوله : شهداء على الناس ؟ فالجواب : أن تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدم المجرور فى قوله : عليكم شهيدا ؛ لاختصاص شهادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأئمة ولم يقدمه فى قوله شهداء على الناس لأنه لم يقصد الحصر (القبلة التى كنت عليها) فيها قولان : أحدهما : أنها الكعبة ، وهو قول ابن عباس . والآخر : هو بيت المقدس ، وهو قول قتادة وعطاء والسدى . وهذا مع ظاهر قوله : كنت عليها ؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى إلى بيت المقدس ، ثم انصرف عنه إلى الكعبة ، وأما قول ابن عباس : فتأويله بوجهين : الأول : أن كنت بمعنى أنت ، والثانى قيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس ، وإعراب التى كنت عليها مفعول بجعلنا ، أو صفة للقبلة ، ومعنى الآية على القولين : اختبار وفئة للناس بأمر القبلة ، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فئة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة ، أو فئة لمن أنكر تحويلها ، وتقديره على هذا : ما جعلنا صرف القبلة ، أما على قول ابن عباس : فإن الصلاة إلى الكعبة فئة لليهود ؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس ، وهم مع ذلك ينكرون النسخ ، فأنكروا صرف القبلة ، أو فئة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لنعلم) أى العلم الذى تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر فى الوجود ما عليه الله (ينقلب على عقبيه) عبارة عن الارتداد عن الإسلام ، وهو تشبيه بمن رجع يمشى إلى وراء (وإن كانت) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهى التحول عن القبلة (إيمانكم) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان ، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة (تقلب وجهك) كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة (شطر المسجد) جهة (وما أنت بتابع قبلتهم) خبر يتضمن النهى ووحدت قبلتهم ، وإن كانت جهتين لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأن

اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ اتَّيَسَّرَ لَهُمُ الْكِتَابُ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِي عَيْبَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا

اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق (يعرفونه) أى يعرفون القرآن أو النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر القبلة (كما يعرفون آبائهم) مبالغة فى وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام معرفتى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أشد من معرفتى بابى لأن ابنى قد يمكن فيه الشك (ولكل) أى لكل أحد أو لكل طائفة (وجهة) أى جهة ، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان ، وقيل إنه مصدر ، وثبت فيه الواو على غير قياس (هو موليا) أى موليا وجهه ، وقرئ مولاها أى ولاه الله إليها ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى الأعمال الصالحات (يأت بكم الله) أى يبعثكم من قبوركم (فول وجهك) الأمر كرر للتأكيد أو لئلا ينطأ به ما بعده (لئلا يكون للناس) الآية : معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس ، فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون فى كتبهم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين ، وإن أريد قریش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائهم أولى به (إلا الذين ظلموا) أى من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة ، والاستثناء متصل ؛ لأنه استثناء من عموم الناس ، ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممن له حجة ، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة (ولآتم) متعلق بمحذوف أى فعلت ذلك لآتم ، أو معطوف على لئلا يكون (كما أرسلنا) متعلق بقوله لآتم ، أو بقوله فاذكرونى ، والأول أظهر (فاذكرونى أذكركم) قال سعيد بن المسيب : معناه اذكرونى بالطاعة : اذكركم بالثواب ، وقيل اذكرونى بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك ، وقد أكثر المفسرون ، ولا سيما المتصوفة فى تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانى مخصوصة ، ولا دليل على التخصيص ، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه : ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى مالا : ذكرته فى مالاخير منهم . والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وبهما معا ، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ،

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن

وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها ؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أَلَا أَنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أَى الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ ، قيل الذِّكْرُ أَفْضَلُ أَمْ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَوْ ضَرَبَ الْمُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ فِي الْكُفَّارِ حَتَّى يَنْقَطِعَ سَيْفُهُ وَيَخْتَضِبَ دَمًا : لَكَانَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ مِنْهُ (الوجه الثاني) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيْثُ مَا أَمَرَ بِالذِّكْرِ ، أَوْ أَثْنَى عَلَى الذِّكْرِ : اشْتَرَطَ فِيهِ السَّكْرَةَ ، فَقَالَ : اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَالذِّكْرُ كَثِيرًا ، وَلَمْ يَشْتَرِطْ ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ (الوجه الثالث) أَنَّ لِلذِّكْرِ مَزِيَّةَ هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ وَلَيْسَتْ لِغَيْرِهِ : وَهِيَ الْحُضُورُ فِي الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ ، وَالْوُصُولُ إِلَى الْقُرْبِ بِالَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجَالِسَةِ وَالْمَعِيَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذَكَرْنِي ، وَيَقُولُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرْنِي

وللناس في المقصد بالذِّكْرِ مقامان : فمقصد العامة اكتساب الأجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور وما بين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحياء .

واعلم أَنَّ الذِّكْرَ عَلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ : فَمِنْهَا التَّهْلِيلُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالْحَمْدُ ، وَالْحَوْقَلَةُ ، وَالْحَسْبَةُ ، وَذَكَرَ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَالِاسْتِغْفَارُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَلِكُلِّ ذِكْرٍ خَاصِيَّتُهُ وَثَمَرَتُهُ . وَأَمَّا التَّهْلِيلُ : فَثَمَرَتُهُ التَّوْحِيدُ : أَعْنَى التَّوْحِيدُ الْخَاصُّ فَإِنَّ التَّوْحِيدَ الْعَامَّ حَاصِلٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَأَمَّا التَّكْبِيرُ : فَثَمَرَتُهُ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ لِنَدَى الْجَلَالِ ، وَأَمَّا الْحَمْدُ وَالْأَسْمَاءُ الَّتِي مَعْنَاهَا الْإِحْسَانُ وَالرَّحْمَةُ كَالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْكَرِيمِ وَالْغَفَّارِ وَشَبَّهَ ذَلِكَ : فَثَمَرَتُهَا ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ ، وَهِيَ الشُّكْرُ ، وَقُوَّةُ الرَّجَاءِ ، وَالْحُبَّةُ . فَإِنَّ الْمُحْسِنَ مُحْبُوبٌ لَا مَحَالَةَ ، وَأَمَّا الْحَوْقَلَةُ وَالْحَسْبَةُ : فَثَمَرَتُهُمَا التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَالتَّقْوِيَةُ بِحُضْنِ اللَّهِ ، وَالثِّقَّةُ بِاللَّهِ : وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الَّتِي مَعْنَاهَا الْإِطْلَاعُ وَالْإِدْرَاكُ كَالْعَلِيمِ وَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالْقَرِيبِ وَشَبَّهَ ذَلِكَ : فَثَمَرَتُهَا الْمُرَاقَبَةُ . وَأَمَّا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : فَثَمَرَتُهَا شِدَّةُ الْحُبَّةِ فِيهِ ، وَالْمَحَافَظَةُ عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ، وَأَمَّا الْإِسْتِغْفَارُ : فَثَمَرَتُهُ الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى التَّقْوَى ، وَالْمَحَافَظَةُ عَلَى شُرُوطِ التَّوْبَةِ مَعَ إِنْكَارِ الْقَلْبِ بِسَبَبِ الذُّنُوبِ الْمُتَقَدِّمَةِ

ثم إن ثمرة الذكر التي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا : اللَّهُ ، اللَّهُ . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) أى بمعونته (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) قيل إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر ، وكانوا أربعة عشر رجلاً لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله وتسلياً لأقاربهم ، ولا يخصصها نزولها

لَا تَشْعُرُونَ ۚ وَلَنُلَبِّسَنَّكُمْ أَمْثَلًا مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۚ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۚ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۚ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۚ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَارِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء (ولنبولونكم) أى نخبركم ، وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه أن يظهر في الوجود ما في علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ما كان وما يكون والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين ، وقيل لسكفار قريش ، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين (بشيء من الخوف) من الأعداء (والجوع) بالجذب (ونقص من الأموال) بالخسارة (والأنفس والثمرات) بالجوائح ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد (إنا لله) اللام للمالك والمالك يفعل في ملكه ما يشاء (راجعون) تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا ، وفي الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه . قالت أم سلمة فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعا ، وذلك لعظمة موقعه في الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها المحبة ، قال « والله يحب الصابرين » ، والثاني : النصر قال « إن الله مع الصابرين » والثالث عرفات الجنة ، قال « يجزون الغرفة بما صبروا » والرابع الأجر الجزيل قال « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية ، ففيها البشارة ، قال « وبشر الصابرين » والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع . وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر ، وعدم الطغيان ، وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا ، وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة ، وكل ما يفعل المحبوب محبوب (إن الصفا والمروة) جبلان صغيران بمكة (من شعائر الله) أى معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة (فلا جناح عليه) لإباحة للسعى بين الصفا والمروة والسعى بينهما واجب عند مالك والشافعي ، وإنما جاء بلفظ يقتضى الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعى بينهم ، لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فخافوا أن يكون السعى بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك ، ثم إن السعى بينهما للسنة ، قالت عائشة رضى الله عنها « سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السعى بين

وَأَهْدَىٰ مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكُمْ أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ
عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۚ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ عَنْ الْعَذَابِ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۚ وَإِلَهُهُمْ
إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۚ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

الصفاء والمروة ، وليس لأحد تركه ، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله «شعائر الله» وهذا ضعيف لأن شعائر
الله : منها واجبة ، ومنها مندوبة ، وقد قيل إن السعي مندوب (يطوف) أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء
وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط (ومن تطوع) عاما في أفعال البر ، وخاصة في الوجوب من السنة
أو معنى التطوع بحج بعد حج الفريضة (إن الذين يكتسبون) أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (في الكتاب)
التوراة هنا (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون ، وقيل المخلوقات إلا الثقلين ، وقيل البهائم لما يصيبهم من الجذب
لذنوب الكائمين للحق (ويبينوا) أي شرط في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا (والناس أجمعين) هم المؤمنون
فهو عموم يراد به الخصوص لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين ، وقيل بلعنهم جميع الناس (خالدين
فيها) أي في اللعنة ، وقيل في النار (ولاهم ينظرون) من أنظر إذا أخر ، أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون
أو من نظر لقوله «لا ينظر إليهم» إلا أن يتعدى إلى (وإلهمكم إليه واحد) الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة
في حق الله تعالى : أحدها : أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد ، والآخر أنه لا شريك له ، والثالث أنه لا يتبعض ولا
ينقسم ، وقد فسر المراد به هنا في قوله : لا إله إلا هو ، واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات
الأولي توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا ، وينجي من الخلود في النار في الآخرة
وهو نفي الشركاء والأنداد ، والصاحبة والأولاد ، والأشباه والأضداد . الدرجة الثانية : توحيد الخاصة ،
وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل
لكل مؤمن ، وإلما مقام الخاص في التوحيد يغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل ، وثمره هذا العلم
الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده وإطراح جميع الخلق ، فلا يرجو إلا الله ، ولا يخاف أحدا سواه إذ
ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر ، فيطرح الأسباب
وينبذ الأرباب ، والدرجة الثالثة ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات ، حتى
كأنها عنده معدومة ، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه ،
وعن توحيده : أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله (إن في خلق السموات والأرض) الآية ذكر
فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنسبها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلا في قوله :
وإلهمكم إليه واحد (واختلاف الليل والنهار) أي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر ،
وقيل إن أحدهما يخلف الآخر (بما ينفع الناس) من التجارة وغيرها (وتصريف الرياح) إرسالها من جهات

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَنْ
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا
الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ يَسْأَلُهَا النَّاسُ كَلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا

مختلفة ، وهى الجهات الأربع ، وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها ملقحة بالشجر ، وعقيم ، وصر ، وللنصر ،
وللهلاك (والذين آمنوا أشد حبا لله) اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التى لا يخلو منها
كل مؤمن ، وهى واجبة ، والأخرى المحبة الخاصة التى ينفرد بها العلماء الربانيون ، والآولياء والأصفياء ،
وهى أعلى المقامات ، وغاية المطلوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير
ذلك فهى مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجى إنما يرجو منفعة
نفسه ؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة ، واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة
على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة إحدى أمرين ، وكلاهما إذا اجتمع
فى شخص من خلق الله تعالى كان فى غاية الكمال . الموجب الأول الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ،
فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن ، والإجمال مثل جمال الله فى حكمته
البالغة وصنائه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التى تروق العقول وتهيج القلوب ، وإنما يدرك جمال
الله تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جابت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله
إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع
والعاصى ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو فى الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده .
واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد فى طاعته والنشاط لخدمته ،
والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاء
من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد فى الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه الله وإثاره
على كل من سواه ، قال الحارث المحاسبى : المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك
ثم موافقته سرا وجهراً ثم علمك بتقصيرك فى حبه (ولو ترى) من رؤية العين والذين ظلموا مفعول ، وجواب
لو محذوف وهو العامل فى أن التقدير لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله أولعلموا أن القوة لله ، والقوى
بالياء ، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب ، والذين ظلموا فاعل ، وأن القوة مفعول يرى ، وجواب لو محذوف
والتقدير لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا ، ولاستعظموها محل بهم (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون ، أو استئناف
والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر (الذين اتبعوا) هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى
(الأسباب) هنا الوصلات من الأرحام والمودات (أعمالهم حسرات) أى سيادتهم وقيل حسنتهم إذا لم تقبل

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۖ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۖ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۖ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

منهم أو ما عملوا لأهلهم (كاوا) أمر محمول على الإباحة (حلالا) حال مما في الأرض أو مفعول بكلوا أو صفة لمفعول محذوف أى شيئاً حلالاً (طيباً) يحتمل أن يريد الحلال (خطوات الشيطان) ما يأمر به ، وأصله من خطوات الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهى لغتان (بالسوء والفحشاء) المعاصى (وأن تقولوا) الإشرار وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك (أولو كان آباؤهم) رداً على قولهم : بل نتبع الآية فى كفر العرب وقيل فى اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا (لا يعقلون) فدخلت همزة الإنكار على واو الحال (ومثل الذين كفروا) الآية : فى معناها قولان : الأول تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم ، ولابد فى هذا من محذوف ، وفيه وجهان : أحدهما أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير مثل داعى الذين كفروا إلى الإيمان (كثل الذى ينطق) أى يصيح (بما لا يسمع) وهى البهائم التى لا تسمع (إلا دعاء ونداء) ولا يعقل معنى ، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذى ينطق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولاً لا يسمع والنطق : هو زجر الغنم ، والصياح عليها ، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيتهم بالذى يزجرها وهو يصيح عليها ، الثانى : تشبيه الذين كفروا فى دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينطق بما لا يسمع لأن الأصنام لا تسمع شيئاً ، ويكون دعاء ونداء على هذا منقطع : أى أن الداعى يتعب نفسه بالدعاء أو النداء لمن لم يسمعه من غير فائدة ، فعلى هذا شبه الكفار بالنطق (صم) وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدأ (واشكروا) الآية : دليل على وجوب الشكر لقوله « إن كنتم إياه تعبدون (الميتة) مامات حتف أنفه ، وهو عموم خص منه الحوت والجراد ، وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت ، ومنعه أبو حنيفة ، ومنع مالك الجراد حتى تسبب فى بيوتها بقطع عضو منها أو وضعها فى الماء وغير ذلك ، وأجازه عبد الحكم دون ذلك (والدم) يريد المسفوح لتقييده بذلك فى سورة الأنعام ، ولا خلاف فى إباحة ما خالط اللحم من الدم (ولحم الخنزير) هو حرام سواء ذكى أو لم يذك ، وكذلك شحمه بإجماع ، وإنما خص اللحم بالذكر ، لأنه الغالب فى الأكل ولأن الشحم تابع له ، وكذلك من حنف أن لا يأكل لحماً فأكل شحماً حنث بخلاف العكس (وما أهل به) أى صبح لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل فى النية فى الذبح (لغير الله) الأصنام وشبهها (اضطر) بالجوع أو بالإكراه ، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء (غير باغ ولا عاد) قيل باغ على المسلمين ، وعاد عليهم ، ولذلك لم يرخص مالك فى رواية عنه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۚ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

للعاصي بسفره أن يأكل لحم الميتة ، والمشهور عنه الترخيص له ، وقيل غير باغ باستعمالها من غير إضرار ، وقيل باغ أى متزايد على إمساك رmqه ولهذا لم يحز الشافعى للمضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود (فلا إثم عليه) رفع للخرج ، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدل الآية على الإباحة لا على الوجوب ، وقد اختلف هل يباح له ميتة بنى آدم أم لا ، فمنعه مالك وأجازة الشافعى لعموم الآية (إن الذين يكتُمون) اليهود (ما يأكلون في بطونهم إلا النار) أى أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب ، وقيل يأكلون النار في جهنم حقيقة (ولا يكلمهم الله) عبارة عن غضبه عليهم ، وقيل لا يكلمهم بما يحبون (ولا يزكهم) لا يثنى عليهم (فما أصبرهم على النار) تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة ، وقيل لأنها استفهام ، وأصبرهم بمعنى صبرهم ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله لأنه استعظام خفى سببه ، وذلك لا يلزم فإنه فى حق الله غير خفى السبب (ذلك) إشارة إلى العذاب ورفعها بالابتداء أو بفعل مضمر (بأن الله) الباء سببية (نزل الكتاب) القرآن هنا (بالحق) أى بالواجب ، أو بالإخبار الحق أى الصادق ، والباء فيه سببية أو للبصاحبة (الذين اختلفوا فى الكتاب) اليهود والنصارى ، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل ، وقيل الذين اختلفوا العرب ، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب فى الموضعين (فى شقاق بعيد) أى بعيد من الحق والاستقامة (ليس البر) الآية : خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قبله اليهود ، والمشرق قبله النصارى : أى إنما البر توجه إلى الكعبة ، وقيل خطاب للمؤمنين أى ليس البر الصلاة خاصة ، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعدهذا (ولكن البر من آمن) لا يصح أن يكون خبراً عن البر فتأويله : لكن صاحب البر من آمن أو لكن البر بر من آمن أو يكون البر مصدراً ووصف به (وآت المال) صدقة التطوع ، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك : وآتى الزكاة (على حبه) الضمير عائداً على المال لقوله «ويؤثرون على أنفسهم الآية» وهو الراجع من طريق المعنى ، وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تنميم وهو من أدوات البيان ، وقيل يعود على مصدر آتى ، وقيل على الله (ذوى القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم ، والأفضل لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم . ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة ، وابن السبيل الغريب ، وقيل الضعيف ، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين ، وفى الرقاب عتقها (والموفون بعهدهم) أى العهد مع الله ومع الناس (والعابرين) نصب بإضمار فعل (فى البأساء)

إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفَى عَنْهُ
مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ
فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَسْأَلُ الْآلِيبَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَمَّا

الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) القتال (صدقوا) في القول والفعل والعزيمة (كتب عليكم القصاص)
أى شرع لكم ، وليس بمعنى فرض ، لأن ولي المقتول خير بين القصاص والدية والعفو ، وقيل بمعنى فرض
أى فرض على القاتل الانقياد على القصاص ، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجهلة وعلى
الحاكم المتمكين من القصاص (الحرب بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ظاهره اعتبار التساوى بين القاتل
والمقتول في الحرية والذكورية ، ولا يقتل حر بعبد ، ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر
بالأنثى ، وزاد قوم أن يعطى أولياها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتصر منه خلاف لمالك وللشافعى
وأبو حنيفة ، وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبى حنيفة خلافا لمالك والشافعى ، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة
بشئ من ظاهر الآية لافى الذكورية ولا فى الحرية لأنها عنده منسوخة ، وأخذ مالك بظاهرها فى الحرية كما
فى الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحر بالحر والعبد بالعبد عموم يدخل فيه : الذكر بالذكر ، والأنثى بالأنثى
والأنثى بالذكر ، والذكر بالأنثى ، ثم كرر قوله : الأنثى بالأنثى : تأكيذا للتجديد ، لأن بعض العرب إذا قتل
منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا ، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها ، ثم يكون عدم قتل الحر
بالعبد من السنة ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقتل حر بعبد ، والناسخ لها على القول بالنسخ : عموم
قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف ، لأنه إخبار عن حكم بنى إسرائيل (فمن عفى له) الآية : فيها تأويلان :
أحدهما أن المعنى من قتل منى عنه فعليه أدام الدية بإحسان ، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها على وفاء فعلى هذا
من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليه ، وعفى من العفو عن القصاص ، وأصله أن يتعدى بعن ،
وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك تجارزت لفلان عن ذنبه ، وعلى الثانى أن من أعطيته الدية فعليه اتباع
المعروف ، وعلى القاتل أدام بإحسان ، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول ، وأخوه هو القاتل أو عاقلته ،
وعفى بمعنى يسر : كقوله خذ العفو أى ما تيسر ، ولا إشكال فى تعدى عفى باللام على هذا المعنى (ذلك تخفيف)
إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بنى إسرائيل لم يكن عندهم دية ، وإنما هو القصاص (فمن اعتدى) أى قتل
قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية (عذاب أليم) القصاص منه وقيل عذاب الآخرة (ولكم فى القصاص حياة)
بمعنى قولهم القتل أبقي للقتل أى أن القصاص يردع الناس عن القتل ، وقيل المعنى أن القصاص أقل قتلا ، لأنه
قتل واحد بواحد ، بخلاف ما كان فى الجاهلية من اقتتال قبيلتى القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة
(الوصية للوالدين والأقربين) كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم

إِثْمَهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۚ
 أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ
 فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ
 الْقُرْآنُ أَنْ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ
 سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ

« لا وصية لوارث » وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين ، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض ، فلا تعارض بينها وبين المواريث ، ولا نسخ ، والأول أشهر (كتب عليكم الصيام) أى فرض ، والقصد بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) وبقوله (أياما معدودات) تسهيل الصيام على المسلمين ، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة ، والذي كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا ، وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه (أياما) منصوب بالصيام أو بمحذوف ، ويبعد انتصابه بتقون (فمن كان منكم مريضا) الآية : إباحة للفطر مع المرض والسفر ، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك ، وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب ، والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح ، وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر ، وإن صام في رمضان ، وهذا منهم جهل بكلام العرب ، وليس في الآية ما يقتضى تحديد السفر ، وبذلك قال الظاهرية ، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه فدية) قيل يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون . ثم نسخ جواز الإفطار بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ، فمن تطوع أى صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة ، وذلك على القول بالنسخ ، وقيل تطوع بالزيادة في مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ (شهر رمضان) مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الصيام (أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطول عشرين سنة ، وقيل المعنى أنزل في شأنه القرآن : كقولك أنزل القرآن في فلان وقيل المعنى ابتداء فيه إنزال القرآن (هدى للناس وبينات من الهدى) أى أن القرآن هدى للناس ، ثم هو مع ذلك من بينات الهدى ، وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق وموصوف بالبينات ، فالهدى الأول هنا على الإطلاق ، وقوله من البينات والهدى : أى وهو من الهدى المبين ، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء (فمن شهد) أى كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية ، واليسر والعسر على الإطلاق ، وقيل اليسر : الفطر في السفر ، والعسر الصوم فيه (ولتكموا) متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر (العدة) الأيام التي أفطر فيها (ولتكبروا) التكبير يوم العيد أو مطلقا (أوجب دعوة الداع) مقيد بمشيئة الله ،

مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يبين الله آياته للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ

وموافقة القدر ، وهذا جواب من قال كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة (فليستجيبوا لي) أي امتثال مادعوتهم إليه من الإيمان والطاعة (أحل لكم) الآية : كان الأكل والجماع محرماً بعد النوم في ليل رمضان ، فحرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه واصرمة بن مالك ، فأحلهما الله تخفيفاً على عباده (الرفث) هنا الجماع ، وإنما تعدى إلى لأنه في معنى الإفضاء (هن لباس لكم) تشبيهه بالثياب ، لاشتغال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة (تختانون أنفسكم) أي تأكلون وتجمعون بعد النوم في رمضان (فتاب عليكم وعفى عنكم) أي غفر ما وقعتم فيه من ذلك ، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم (بأشروهن) لإباحة (ما كتب الله لكم) قيل الولد يبتغى بالجماع ، وقيل الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض لا للأسود ؛ لأن الفجر ليس له سواد ، والخيط هنا استعارة : يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل ، وروى أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى ، لأن بعضهم جعل خيطاً أبيض وخيطاً أسود تحت وسادته ، وأكل حتى تبين له ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو بياض النهار وسواد الليل (إلى الليل) أي إلى أول الليل ، وهو غروب الشمس فن أظفر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة ومن شك هل غربت أم لا فأظفر ، فعليه القضاء والكفارة أيضاً وقيل القضاء فقط ، وقالت عائشة رضى الله عنها « إلى الليل » يقتضى المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك في الحديث (ولا تبأشروهن) تحريم للباشرة حين الاعتكاف ، قال الجمهور : المباشرة هنا الجماع فما دونه . وقيل الجماع فقط ، (في المساجد) دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد ؛ خلافاً لمن قال لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس : وفيه أيضاً دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد لا في غيرها خلافاً لمن أجازه في غيرها من مفهوم الآية (حدود الله) أحكامه التي أمر بالوقوف عندها (فلا تقربوها) أي لا تقربوا مخالفتها ، واستدل بعضهم به على سدة الذرائع لأن المقصود النهي عن المخالفة للحدود لقوله : تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ثم نهى هنا عن مقارنة المخالفة سداً للذريعة (ولا تأكلوا أموالكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) كالقمار ، والغصب ، وجحد الحقوق وغير ذلك (وتدلوها) عطف على لا تأكلوا ، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها ، والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ، ليصل بها إلى أكل مال الناس ، وقيل نهى عن رشوة الحكام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَقَتْلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ
حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ
فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ
اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَانْفِقُوا فِي

الأول سببية ، وعلى الثاني للإلصاق (بالإثم) الباء سببية أو للبصاحبة ، والإثم على الأول الأول في تدلوا : إقامة
الحجة الباطلة كشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وعلى القول الثاني الرشوة (يسألونك عن الأهله)
سببها أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس ، والهلال ليلتان من أول الشهر ، وقيل
ثلاث ، ثم يقال له قمر (مواقيت) جمع ميقات لمحل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر
الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس (وليس البر) الآية : كان قوم إذا رجعوا من الحج
لم يدخلوا أبوابهم من أبوابها ، وإنما يدخلون من ظهورها ، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شيء فنزلت الآية
إعلاما بأن ذلك ليس من البر ، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج ، وقيل المعنى ليس البر أن
تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب ، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها
استعارة : يراد بالبيوت المسائل ، وبظهورها السؤال عما لا يفيد ، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه (البر من اتقى)
تأويله مثل البر من آمن (الذين يقاتلونكم) كان القتال غير مباح في أول الإسلام ، ثم أمر بقتال الكفار الذين
يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل ، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله « قاتلوا المشركين
كافة » (أقتلوهم حيث وجدتموهم) فهذه الآية منسوخة ، وقيل إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من
يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر (ولا تعتدوا) أى بقتال من لم يقاتلكم
على القول الأول ، وبقتال النساء والصبيان على القول الثاني (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة ، لأن
قريشا أخرجوا منها المسلمين (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله ، وقيل كفر
الكفار . أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد (عند المسجد الحرام) منسوخ بقوله حيث وجدتموهم ، وهذا
يقوى نسخ الذين يقاتلونكم (فإن انتهوا) عن الكفر فأسلموا بدليل قوله (غفور رحيم) وإنما يغفر للكافر
إذا أسلم (لا تكون فتنة) أى لا يبقى دين كفر (الشهر الحرام) الآية : نزلت لمصاد الكفار النبي صلى الله عليه
وآله وسلم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذى الحجة ، فدخلها في العام الذى بعده في شهر ذى القعدة
أى الشهر الحرام الذى دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذى صدتم فيه عن دخولها (والحرمت قصاص) أى حرمة

سَبِيلَ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۖ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا آَمَنْتُمْ فَأَتِمُّوا الْعُمْرَةَ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ

الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صدقتم عنها (فاعتدوا عليه) تسمية للعقوبة باسم الذنب أى قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدقتم عن دخول مكة (تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب الأنصارى: المعنى لا تشغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل لا تتركوا النفقة في الجهاد خوفاً العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك، والباء في أيديكم زائدة، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم (وأتموا الحج والعمرة لله) أى أكملوها إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إنما هما إكمال المناسك وقال على إتمامهما: أن تحررهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء (فإن أحصرتم) المشهور في اللغة أحصره المرض بالآلف، وحصره العدو وقيل بالعكس، وقيل هما بمعنى واحد، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدى ولم يوجبه على من حصره العدو، وقال الشافعى وأشهب يجب الهدى على من حصره العدو، وعمل الآية على ذلك، واستدلوا بنحو النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهدى بالحديبية، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدو ومرض (فما استيسر) أى فعليكم ما استيسر من الهدى وذلك شاة (ولا تحلقوا رؤوسكم) خطاباً بالمحصر وغيره (فمن كان منكم مريضاً) الآية: نزلت في كعب بن عجرة حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يؤذيك هو أم رأسك: أحلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة، فمعنى الآية أن من كان في الحج واضطره مرض أو قتل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر في الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاج منها إلا الصيد، والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس، ولا بد في الآية من مضمحل لا ينتقل الكلام عنه، وهو المسمى فحوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية (فإذا أمنتم) أى من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج، ثم يحج من عامه، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبد الله بن الزبير: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل المنوعات من الحج في وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) شاة (ثلاثة أيام في الحج) وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاتة صام أيام التشريق (إذا رجعت) إلى بلادكم أو في الطريق (تلك عشرة) فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لئلا يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل هو مثل الفضلثة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل كاملة في الثواب (لمن لم يكن أهله حاضراً المسجد الحرام) يعنى غير أهل مكة

حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ۖ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۚ فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا

وذى طوى بإجماع، وقيل أهل الحرام كله، وقيل من كان دون الميقات، وقوله ذلك. إشارة إلى الهدى أو الصيام: أى إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع (الحج أشهر) التقدير أشهر الحج أشهر، أو الحج في أشهره شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وقيل العشر الأول منه، وينبنى على ذلك أن من آخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة: فعليه دم على القول بالعشر الأول، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر، فأجازه مالك على كراهة، ولم يجزه الشافعى وداود لتعيين هذا الاسم كذلك؛ فكأنها كوقت الصلاة (فمن فرض فيهن الحج) أى ألزم بالحج نفسه (فلا رفث ولا فسوق) الرفث: الجماع، وقيل الفحش من الكلام، والفسوق: المعاصى، والجِدَال: المراءى مطلقا، وقيل المجادلة فى مواقيت الحج، وقيل النسيء الذى كانت العرب تفعله (وتزودوا) قيل احملا زادا فى السفر، وقيل تزودوا الآخرة بالتقوى، وهو الأرجح لما بعده (فضلا من ربكم) التجارة فى أيام الحج أباحها الله تعالى، وقرأ ابن عباس: فضلا من ربكم فى مواسم الحج (أفَضْتُمْ) اندفعتُم جملة واحدة (من عرفات) اسم علم للموقف والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر لا تنوين صرف، فإن فيه التعريف والتأنيث (المشعر الحرام) المزدلفة والوقوف بها سنة (كما هداكم) الكاف للتعليل (وإن كنتم) إن مخففة من الثقيلة، ولذلك جاء اللام فى خبرها (من قبله) أى من قبل الهدى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه قولان أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم، ويقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حل، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها، وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له، والقول الثانى أنها خطاب لجميع الناس، ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا القول على بابها من الترتيب، وأما على القول الأول فليست للترتيب، بل للعطف خاصة، قال الزمخشري هى كقولك أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلى غير كريم، فإن معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها وأن ما بعدها أوكد (قضيتم مناسككم) فرغتم من أعمال الحج (كذكركم آباءكم) لأن الإنسان كثيرا ما يذكّر آباه، وقيل كانت العرب يذكرون آباهم مفاخرة عند الجفرة، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك (آتينا فى الدنيا) كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة (حسنة) قيل العمل

فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝
وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ
مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۖ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ
أُبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَهِيفٌ بِالْعِبَادِ ۖ يَسَاءُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُدْخِلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ

الصالح وقيل المرأة الصالحة (وفي الآخرة حسنة) الجنة (نصيب مما كسبوا) يحتمل أن تكون من سببية أى لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها ، والنصيب على هذا الثواب (سريع الحساب) فيه وجهان : أحدهما أن يراد به سرعة مجيء يوم القيامة ، لأن الله لا يحتاج إلى عدة ولا فكرة ، وقيل لعلّ رضى الله عنه : كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم ؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم (في أيام معدودات) ثلاثة بعد يوم النحر ، وهي أيام التشريق ، والذكر فيها : التكبير في أدبار الصلوات ، وعند الجمار وغير ذلك (فمن تعجل في يومين) أى انصرف في اليوم الثانى من أيام التشريق (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار ، وأما المتعجل فقليل بترك رمى جمار اليوم ، وقيل يقدمها في اليوم الثانى (فلا إثم عليه) في الموضوعين ، قيل إنه إباحة للتعجل والتأخر ، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج ، سواء تعجل أو تأخر (لمن اتقى) أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : الإباحة ، فالمعنى أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما ، فقد أبيض له ذلك من غير إثم ، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : إخبار بغفران الذنوب ، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية (من يعجبك) الآية : قيل نزلت في الأخنس بن شريق ، فإنه أظهر الإسلام ، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعاً ، وقيل في المنافقين ، وقيل عامة في كل من كان على هذه الصفة (في الحياة) متعلق بقوله يعجبك : أى يعجبك ما يقول في أمر الدنيا ، ويحتمل أن يتعلق يعجبك (ويشهد الله) أى يقول الله أعلم إنه لصادق (ألد الخصام) شديد الخصومة (تولى) أدبر بحسده أو أعرض بقلبه ، وقيل صار والياً (ويهلك الحرث والنسل) على القول بأنها في الأخنس ، فإهلاك الحرث حرقه الزرع ، وإهلاك النسل قتله الدواب ، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته في الفساد ، وغير عن ذلك يهلك الحرث والنسل ، لأنهما قوام معيشة ابن آدم ، فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل (أخذته العزة بالإثم) المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبراً وطغياناً والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع . وقال الزمخشري : هي كقولك : أخذ الأمير الناس بكذا : أى ألزمهم إياه ، فالمعنى حملته العزة على الإثم (من يشري نفسه) أى يبيعها ، قيل نزلت في صهيب وقيل على العموم وبيع النفس في الهجرة أو الجهاد ،

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۚ سَلِ بْنِ إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ

وقيل في تغيير المنكر ، وأن الذي قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية ، والأمر على هذا الأهل الكتاب وخو طبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة ، وقيل هو الإسلام ، وكذلك هو بكسر السين ، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام ، وقيل إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا البيت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا في الإسلام ، واتركوا سواه ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي (كافة) عموم في المخاطبين أوفى شرائع الإسلام (فاعلموا أن الله عزير حكيم) تهديد لمن زل بعد البيان (هل ينظرون) أى ينتظرون (يأتهم الله) تأويله عند المتأولين : يأتهم عذاب الله في الآخرة ، أو أمره في الدنيا ، وهى عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكيف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه ؛ لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم : لولا يكلمنا الله (في ظلل) جمع ظلة وهى ماعلاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه (الغمام) السحاب (وقضى الأمر) فرغ منه ، وذلك كناية عن وقوع العذاب (سل بنى إسرائيل) على وجه التوبيخ لهم ، وإقامة الحجة عليهم (من آية) معجزات موسى ، أو الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يبدل) وعيد (ويسخرون) كفار قریش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب (والذين اتقوا) هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم (فوقهم) أى أحسن حالا منهم ، ويحتمل فوقية المكان ، لأن الجنة في السماء (يرزق من يشاء) إن أراد في الآخرة ، فمن كناية عن المؤمنين ، والمعنى رد على الكفار أى إن رزق الله الكفار في الدنيا ، فإن المؤمنين يرزقون في الآخرة وإن أراد في الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أى سيرزقهم ، ففيه وعد لهم ، وأن تكون كناية عن الكافرين أى أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم (بغير حساب) إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضيق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فمن غير تضيق (أمة واحدة) أى متفقين في الدين ، وقيل كفاراً في زمن نوح عليه السلام ، وقيل مؤمنين مابين آدم ونوح ، أو من كان مع نوح في السفينة وعلى ذلك يقدر : فاختلّفوا بعد اتفاقهم ، ويدل عليه « أمة واحدة » فاختلّفوا (الكتاب) هنا جنس أو في كل نبي وكتابه (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) الضمير المجرور يعود على الكتاب ، أو على الضمير المجرور المتقدم ، وقال الزحشرى : يعود على

فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْجَبَّاسَةِ وَالضَّرَآءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقَرِبِينَ وَالتَّيَمُّمِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

الحق ، وأما الضمير في أوتوه ، فيعود على الكتاب ، والمعنى تقييح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات (بغيا) أى حسداً أو عدوانا ، وهو مفعول من أجله ، أو مصدر في موضع الحال (فهدى الله الذين آمنوا) يعنى أتمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه) أى للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذى وقبلها مضاف محذوف ، والضمير في اختلفوا لجميع الناس ، يريد اختلافهم في الأديان ، فهدى الله المؤمنين لدين الحق ، وتقدير الكلام : فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ، ومن في قوله من الحق لبيان الجنس أى جنس ما وقع فيه الخلاف (بإذنه) قيل بعلمه ، وقيل بأمره (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم) أى لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم (مثل الذين) أى حالهم وعبر عنه بالمثل لأنه في شدته يضرب به المثل (وزلزلوا) بالتخويف والشدائد. (ألا إن نصر الله قريب) يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله ، وأن يكون إخبارا مستأنفا ، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله (فللوالدين والأقربين) إن أريد بالنفقة الزكاة ، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ ، وقدم في الترتيب الأهم فالأهم ، وورد السؤال على المنفق ، والجواب عن مصرفه لأنه كان المقصود بالسؤال ، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله من خير (كتب عليكم القتال) إن كان على الأعيان فنسخه وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فصار القتال فرض كفاية ، وإن كان على الكفاية فلا نسخ (كره) مصدر ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخسب بمعنى الخبوز (وعسى أن تكرهوا) حض على القتال (الشهر الحرام) جنس وهو أربعة أشهر : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم (قتال فيه) بدل من الشهر وهو مقصود السؤال (قل قتال فيه كبير) أى ممنوع ثم نسخه : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم : عموم في الأمكنة لا في الأزمنة ، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافة بعد ذكر الأشهر الحرم ، فكان التقدير : قاتلوا فيها ، ويدل عليه : فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام : أى بإباحته حسبا استقر في الشرع ، فلا تكون الآية منسوخة ، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم (وصد عن سبيل الله) ابتداء ، وما بعده معطوف عليه ، وأكبر عند الله : خبر الجميع ، أى أن هذه الأفعال القبيحة التى فعلها الكفار : أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذى عير به الكفار المسلمين سرية عبد الله بن جحش ، حين قاتل في أول يوم

وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى بُؤْمِنُوا وَلَا مَؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

من رجب ، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى (والمسجد) عطف على سبيل الله (حتى يردوكم) قال الزخشرى حتى هنا للتعليل (فأولئك حبطت أعمالهم) ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد ، سواء رجع إلى الإسلام ، أو مات على الارتداد ، ومن ذلك انتقاض وضوئه ، وبطلان صومه ، وذهب الشافعى إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا ؛ لقوله : فیمت وهو كافر ، وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم جزاء على الردة ، وقوله : أصحاب النار هم فيها خالدون جزاء على الموت على الكفر ، وفي ذلك نظر (إن الذين آمنوا) الآية : نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه (الخمر) كل مسكر من العنب وغيره (والميسر) القمار ، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور ، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما ، وروى أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه (إثم كبير) نص في التحريم وأنها من الكبائر ، لأن الإثم حرام لقوله : قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ، خلافا لمن قال إنما حرمها آية المائدة لاهذه الآية (ومنافع) في الخمر التلذذ والطرب ، وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة قال ابن عباس : المنافع قبل التحريم ، والإثم بعده (وإثمهما أكبر) تغليبا للإثم على المنفعة ، وذلك أيضا بيان للتحريم (قل العفو) أى السهل من غير مشقة ، وقرامة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكلة للسؤال ، على أن يكون مامبتدا ، وإذا خبره (تتفكرون في الدنيا والآخرة) أى في أمرهما (ويسألونك عن اليتامى) كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا ، فنزلت لإباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم ، فإن قيل : لم جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات ، وبغير واو ثلاث مرات قبلها ؟ فالجواب أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأولى وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة (والله يعلم) تحذير من الفساد ، وهو أكل أموال اليتامى (لا تعتكم) لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى (ولا تنكحوا) أى لا تزوجوا ، والنكاح مشترك بين الوطئ والعقد (المشركات) عباد الأوثان من العرب ، فلا تناول اليهود ولا النصرى المباح نكاحهن في المائدة ، فلا تعارض بين الموضعين ، ولا نسخ ، خلافا

حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّمَّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أَوْ أَنْتُمْ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ
وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَيْضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ
فِي الْحَيْضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكَلَّفُونَ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

لمن قال آية المائدة نسخت هذه ، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتايات ، ونزول الآية
بسبب مرثد الغنوى أراد أن يتزوج امرأة مشركة (ولامة مؤمنة) أى أمة لله حرة كانت أو مملوكة وقيل أمة
مملوكة خير من حرة مشركة (ولو أعجبكم) فى الجمال والمال وغير ذلك (ولا تنكحوا المشركين) أى لا تزوجوهن
نساءكم ، وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة ، سواء كان كتابيا أو غيره ، واستدل المالكية على
وجوب الولاية فى النكاح بقوله « ولا تنكحوا المشركين » لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال (ولعبد) أى
عبد لله ، وقيل مملوك (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) إلى الكفر الموجب إلى النار
(بإذنه) أى بإرادته أو عليه (ويسألونك) سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير قال لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ألا نجامع النساء فى الحيض ، خلافا لليهود (هو أذى) مستقذر ، وهذا تعليل لتحريم الجماع
فى الحيض (فاعتزلوا النساء) اجتنبوا جماعهن ، وقد فسر ذلك الحديث بقوله : لتشتد عليها إزارها ، وشأنك
بأعلاها (حتى يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم (فإذا تطهرن) أى اغتسلن بالماء ، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة
عند مالك والشافعى ، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبى حنيفة فأجاز الوطء عند
انقطاع الدم وقبل الغسل ، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد ، ومعنى هذه الآية بالماء ، فتكون الغايتان بمعنى واحد ،
وذلك حجة لمالك (من حيث أمركم الله) قبل المرأة (التوابين) من الذنوب (المتطهرين) بالماء أو من الذنوب
(حرث لكم) أى موضع حرث ، وذلك تشبيه للجماع فى إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث فى إلقاء البذر
وانتظار الزرع (أنى شئتم) أى كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم ، لأن شئتم لأنه يوم الإتيان فى الدبر ،
وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث فى موضع الزرع (وقدموا
لأنفسكم) أى الأعمال الصالحة (عرضة لأيمانكم) أى لا تسكروا الحلف بالله فتبدلوا اسمه ، وأن تبروا على
هذا علة للنهى ، فهو مفعول من أجله : أى نهيتهم عن كثرة الحلف كي تبروا ، وقيل المعنى لا تحلفوا على أن
تبروا وتتقوا ، وافعلوا البر والتقوى دون يمين ، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه ، والعرضة على هذين
القولين لقولك : فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له ، وقيل عرضة مامنع ، من قولك عرض له أمر
حال بينه وبين كذا ، أى لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى ، ومن ذلك يمين أبى بكر الصديق أن
لا ينفق على مسطح ، فأن تبروا على هذا : علة لامتناعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة ، لأنها
بمعنى مانع (بالغو) الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله ، ولا والله ، الجارى على اللسان من غير قصد وفاقا

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُؤْلُونَ
 مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝
 وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ

للشافعي ، وقيل أن يحلف على الشيء بظنه على ما حلف عليه ، ثم يظهر خلافه وفاقا لأبي حنيفة ، وقال ابن
 عباس : اللغو الحلف حين الغضب ، وقيل اللغو اليمين على المعصية ، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة
 (بما كسبت قلوبكم) أى قصدت فهو على خلاف اللغو ، وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ، وذلك أن يحلف
 على الكذب متعمدا ، وهو حرام إجماعا ، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي (يولون من نسائهم)
 يحلفون على ترك وطئهن وإنما تعدى بمن ، لأنه تضمن معنى البعد منهن ، ويدخل في عموم قوله الذين : كل
 حالف حزا كان أو عبدا ، إلا أن مالك جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافا للشافعي ، ويدخل في إطلاق
 الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم ، خلافا للشافعي في قصر الإيلاء على الحلف بالله ، ووجهه أنها اليمين الشرعية ،
 ولا يكون موليا عند مالك والشافعي ، إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر ، وعند أبي حنيفة أربعة
 أشهر فصاعدا ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر : وقف المولى عند مالك والشافعي ، فإما فاء وإلا طلق ، فإن
 أبي الطلاق : طلق عليه الحاكم ، وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف ،
 ولفظ الآية يحتمل القولين (فإن فاءوا) رجعوا إلى الوطئ وكفروا عن اليمين (غفور رحيم) أى يغفر ما في الأيمان
 من إضرار المرأة (عزموا الطلاق) العزيمة على قول مالك التطلق أو الإيلاء فيطلق عليه الحاكم ، وعند
 أبي حنيفة ترك الفء حتى تنقضي الأربعة الأشهر ، والطلاق في الإيلاء رجعى عند مالك بائن عند الشافعي
 وأبي حنيفة (والمطلقات يتربصن) بيان للعدة ، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى
 وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . واليايسة والصغيرة بقوله : واللاتئ يئسن من الحيض الآية .
 والتي لم يدخل بها بقوله : فالكم عليهن من عدة تعتدونها ، فيبقى حكمها في المدخول بها ، وهى سن من تحيض
 وقد خص مالك منها الأمة ، فجعل عدتها قرين ويتربصن خبر بمعنى الأمر (ثلاثة قروء) انتصب ثلاثة
 على أنه مفعول به هكذا قال الزخشرى ، وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، فحمله
 مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة ، فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث ، ولقول عائشة : الأقراء
 هى الإطهار ، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم ، وذلك مقصود العدة ، فعلى قول مالك
 تنقضى العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسه فيها ، وعند أبي حنيفة بالطهر منها (ماخلق
 الله في أرحامهن) يعنى الحمل والحيض ، وبعولتهن جمع بعل ، وهو هنا الزوج (في ذلك) أى في زمان العدة (ولهن
 مثل الذى عليهن) من الاستمتاع وحسن المعاشرة (درجة) فى الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِمْ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسُكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا
آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ
إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ
وَإِذَا طَهَّرْتُمُوهُنَّ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ

بيده إمساك حينئذ ، ومعنى أمسكوهن : راجعوهن (بمعروف) هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة (وإذا طلقتم
النساء) الآية : هذه الأخرى خطاب للأولياء ، وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعهن
(أن ينكحن أزواجهن) أى يراجعن الأزواج الذين طلقوهن ، قال السهيلي نزلت في معقل بن يسار كان له
أخت فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هى مراجعته ، فمنعها أخوها ، وقيل نزلت في جابر بن عبد الله
وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أراد مراجعتها فمنعها جابر ، وقال تركتها وأنت أملك
بها لا زوجتكها أبدا ، فنزلت الآية ، والمعروف هنا : العال ، وقيل الإشهاد ، وهذه الآية تقتضى ثبوت حق
الولى فى نكاح وليته خلافا لأبى حنيفة (ذلك يوعظ به) خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكل واحد على
حدته ، ولذلك وحد ضمير الخطاب (ذلكم أزكى لكم) خطابا للمؤمنين والإشارة إلى ترك الفصل ، ومعنى أزكى
أطيب للنفس ، ومعنى أطهر : أى للدين والعرض (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الأمر وتقتضى
الآية حكيمين : الحكم الأول من يرضع الولد ، فذهب مالك أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها مادامت فى عصمة
والده ، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك ، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال :
لزمها رضاعه فى المشهور ، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال ، وإن كانت مطلقة بائن : لم يلزمها رضاعه ،
لقوله تعالى : فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . إلا أن تشاء هى فهى أحق به بأجرة المثل ، فإن لم يقبل
غيرها وجب عليها إرضاعه ، ومذهب الشافعى وأبى حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا ، والأمر فى هذه الآية
عندهما على الدب ، وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب ، وأما مالك فحملها
فى موضع على الوجوب ، وفى موضع على الندب ، وفى موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم فى المذهب
الحكم الثانى مدة الرضاع ، وقد ذكرها فى قوله (حولين كاملين) وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال
فى حول وبعض آخر : حولين ، فرفع ذلك الاحتمال ، وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى (لمن أراد
أن يتم الرضاعة) واشترط أن يكون الفطام عن تراضى الأبوين بقوله : فإن أرادا فصلا الآية ، فإن لم يكن على
الولد ضرر فى الفطام فلا جناح عليهما ، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له ، وأما بعد الحولين فمن
دعا منهما إلى الفطام فذلك له ، وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث فى البطن ستة أشهر ، فمن
مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون ، لقوله تعالى : وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) فى هذه النفقة والكسوة : قولان : أحدهما : أنها

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزخشرى وابن العربى ، الثانى : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وقال منذر ابن سعيد البلوطى : هذه الآية نص فى وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس (بالمعروف) أى على قدر حال الزوج فى ماله ، والزوجة فى منصبها ، وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفسا إلا وسعها (لا تضار والدته بولدها) قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهى ، وبرفعهما على الخبر ، ومعناها النهى ، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل ، فيكون ما قبل الآخر مكسورا قبل الإدغام ، أو يكون مسندا إلى المفعول ، فيكون مفتوحا ، والمعنى على الوجهين : النهى عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ، ويدخل فى عموم النهى : وجوه الضرر كلها والباء فى قوله بولدها وبولده : سببية ، والمراد بقوله ولا مولود له : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب له لا للأم (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلف فى الوارث فقيل وارث المولود له ، وقيل وارث الصبي لو مات ، وقيل هو الصبي نفسه ، وقيل من بقى من أبويه ، واختلف فى المراد بقوله مثل ذلك ، فقال مالك وأصحابه . عدم المضارة ، وذلك يجرى مع كل قول فى الوارث ؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد ، وقيل المراد أجرة الرضاع فى النفقة والكسوة ، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف فى الوارث ، فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال ؛ لأن أجرة رضاعه فى ماله ، وأما على سائر الأقوال ، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد ، وقيل إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات ، أو على وارث الوالد ، وهو قول قتادة والحسن البصرى (وإن أردتم أن تسترضعوا) لإباحة لا تحاذى الغير (إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف) أى دفعتم أجرة الرضاع (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) الآية عموم فى كل متوفى عنها ، سواء توفى زوجها قبل الدخول أو بعده ، إلا الحامل فعدتها وضع حملها ، سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشرون أو بعدها عند مالك والشافعى وجمهور العلماء ، وقال على بن أبى طالب : عدتها أبعدا لأجلين ، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها فى الوفاة شهران وخمس ليال ، ويتربص : معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد ، وإعراب الذين مبتدأ ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن ، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، وقال الكوفيون : الخبر عن الذين متروك ، والقصد الإخبار عن أزواجهم (فما فعلن فى أنفسهن) من التزويج والزينة (بالمعروف) هنا إذا كان غير منكرو قيل معناه الإشهاد (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) الآية : لإباحة

عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذْكُرُونَهَا وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ يَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ

التعريض بخطبة المرأة المعتدة ، ويقضى ذلك النهي عن التصريح ، ثم أباح ما يضمن في النفس بقوله : أو أكنتم في أنفسكم (علم الله أنكم ستذكرونهن) أي تذكروهن في أنفسكم وبألسنتكم لم يخف عليكم وقيل أي ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهن سرا) أي لا تواعدوهن في العدة خفية بأن تزوجوهن بعد العدة ، وقال مالك فيمن يخطب في العدة ثم يتزوج بعدها : فراقها أحب إلي ، ثم يكون خاطبا من الخطاب ، وقال ابن القاسم : يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء منقطع ، والقول المعروف : هو ما أبيع من التعريض : كقوله إنكم لا كفء كرام ، وقوله إن الله سيفعل معك خيرا ، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) الآية : نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة والكتاب هنا : القدر الذي شرع فيه من المدة ومن تزوج امرأة في عتتها يفرق بينهما اتفاقا ، فإن دخل بها حرمت عليه على التأيد عند مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة واختلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم يدخل بها ، وإذا دخل بها ولم يطأها (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) الآية : قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهى عنه ، فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك ، وقيل إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول ، وذلك أن من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك في نكاح التفويض : فلا شيء عليه من الصداق ؛ لقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء الآية ، والمعنى لا طلب عليكم شيء من الصداق ، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى : ومتعوهن ، وإن كان قد فرض لها : فعليه نصف الصداق لقوله تعالى : فنصف ما فرضتم ، ولا متعة عليه ، لأن المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله : أو تفرضوا ، أو فيه بمعنى الواو (ومتعوهن) أي أحسنوا إليهن ، وأعطوهن شيئا عند الطلاق ، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك ، وواجب عند الشافعي (على الموسع قدره) أي يتمتع كل واحد على قدر ما يجد ، والموسع الغنى ، و(المقتتر) الضيق الحال ، وقرئ بإسكان دال قدره وفتحها ، وهما بمعنى وبالمعروف هنا : أي لاحمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين (حقا على المحسنين) تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله : حقا ، وتعلق مالك بالندب في قوله على المحسنين ، لأن الإحسان تطوع بما يلزم (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) الآية : بيان أن المطلقة قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمى ، بخلاف نكاح التفويض (إلا أن يعفون) النون فيه نون جماعة النسوة : يريد المطلقات ، والعفو هنا بمعنى الإسقاط ، أي للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يستقطنه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها (أو يعفو الذي بيده عقدة

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ حَفَظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَيْكُمْ مَالٌ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۖ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلِلْمُطَلَّقاتِ

(النكاح) قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوالى الذى تكون المرأة فى حجره كالآب فى ابنته المحجورة، والسيد فى أمته ، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول ، وأجاز شريح إسقاط غير الآب من الأولياء ، وقال على بن أبى طالب والشافعى : الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وعفوه أن يعطى النصف الذى سقط عنه من الصداق ، ولا يجوز عندهما أن يسقط الآب النصف الواجب لابنته ، وحجة مالك أن قوله الذى بيده عقدة النكاح فى الحال ، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح ، وحجة الشافعى قوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى» فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذى لا يلزمه فذلك فضل وأما إسقاط الآب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير (ولا تنسوا الفضل بينكم) قبل إنه يعنى إسقاط المرأة نصف صداقها أو دفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعم من ذلك (والصلوة الوسطى) جدد ذكرها بعد دخولها فى الصلوة اعتنائاً بها وهى الصبح عند مالك وأهل المدينة ، والعصر عند على بن أبى طالب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقيل هى الظهر ، وقيل المغرب ، وقيل هى العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسميت وسطى لتوسطها فى عدد الركعات ، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع أولتوسط وقتها ، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة ، لأنها فى وسط النهار ، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجرى اختلاف الأقوال فيها (وقوموا لله) معناه فى صلاتكم (قانتين) هنا ساكتين وكانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت ، قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، وقيل خاشعين ، وقيل طول القيام (فإن خفتم) أى من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس (فرجالاً) جمع راجل أى على رجله (أو ركباناً) جمع راكب : أى صلوا كيف ما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك فى صلاة المسابقة ، ولا تنقص منها عن ركعتين فى السفر ، وأربع فى الحضر عند مالك (فإذا أمتم فاذكروا الله) الآية : قيل المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها وهى التامة ، وقيل إذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التى تجزئكم فى حال الخوف ، فالذكر على القول الأول فى حال الصلاة ، وعلى الثانى بمعنى الشكر (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن) هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم فى منزله سنة وينفق عليها من ماله ، وذلك وصية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر ، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذى لها فى الميراث حسبما ذكر فى سورة النساء ، وإعراب وصية مبتدأ ، وأزواجهن خبر ، أو مضمرة تقديره : فعليهن وصية ، وقرئت بالنصب على المصدر ، تقديره : ليوصوا وصية ، ومتاعاً نصيب على المصدر (غير إخراج) أى ليس لأولياء الميت إخراج المرأة (فإن خرجت) معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت فى نفسها من تزوج وزينه (وللمطلقات

مَتَعَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ • كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ • وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضاعفه له أضعافًا كثيرة • وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ أَتُفْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ • وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ • وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

متاع) عام في إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه واستثنى مالك المختلعة والملاعة (حقا على المتقين) يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات ، لأن التقوى واجبة ، ولذلك قال بعضهم : نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقا على المحسنين ، فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت حقا على المتقين (ألم تر) رؤية قلب (إلى الذين خرجوا من ديارهم) قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء ، وقيل بل فزوا من الطاعون (وهم أُلُوف) جمع ألف ، قيل ثمانون ألفاً ، وقيل ثلاثون ألفاً ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل هو من الألفة ، وهو ضعيف (فقال لهم الله موتوا) عبارة عن إمامتهم ، وقيل إن ملكين صاحبا بهم موتوا فماتوا (ثم أحياهم) ليستوفوا آجالهم (وقاتلوا) خطاب لهذه الأمة وقيل للذين أماتهم الله ثم أحياهم (من ذا الذي يقرض الله) استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف ، وروى أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره (قرضاً حسناً) أى خالصاً طيباً من حلال من غير من ولا أذى (فيضاعف) قرئ بالتشديد والتخفيف ، وبالرفع على الاستئناف أو عطفاً على يقرض ، وبالنصب في جواب الاستفهام (أضعافاً كثيرة) عشرة فما فوقها إلى سبعمائة (يقبض ويبسط) إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق (ألم تر إلى الملا) رؤية قلب ، وكانوا قوماً نالهم الذلة من أعدائهم ، فطلبوا الإذن في القتال فلما أمروا به كرهوه (لنبي لهم) قيل اسمه شمويل ، وقيل شمعون (هل عسيتم) أى قاربتم ، وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم ، ويجوز في السين من عسيتم الكسر والفتح ، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح (طالوت ملكاً) قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملكهم ، وقال السدي أرسل الله إلى نبيهم عصا ، وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت (ونحن أحق بالملك منه) روى أنه كان

بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ . فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَكُوا اللَّهُ كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ

دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو في قوله ونحن واو الحال والواو في قوله ولم يؤت لعطف الجملة على الأخرى (بسطة في العلم والجسم) كان عالما بالعلوم وقيل بالحروب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه (والله يؤتي ملكه من يشاء) رد عليهم في اعترافهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال (أن يأتيكم التابوت) كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية ، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته في دار طالوت ، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة (فيه سكينه) قيل فيه رأس ووجه كوجه الإنسان ، وقيل طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة ، وقيل وقار (وبقية) قال ابن عباس: هي عصي موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة (آل موسى وآل هارون) يعني أقاربهما ، قال الزمخشري يعنى الأنبياء من بني إسرائيل ، ويحتمل أن يريد موسى وهارون ، وأقيم الأهل (فصل طالوت) أى خرج من موضعه إلى الجهاد (نهر) قيل هو نهر فلسطين (فمن شرب منه) الآية : اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد (إلا من اغترف غرفة) رخص لهم في الغرفة باليد ، وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها هو الاسم (فشربوا منه إلا قليلا) قيل كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثمانمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر ، فأما من شرب فاشتد عليه العطش ، وأما من لم يشرب فلم يعطش (جالوت وجنوده) كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العماليق ، ويقال إن البربر من ذريته (يظنون) أى يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه (قتل داود جالوت) كان داود في جند طالوت فقتل جالوت ، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل ، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة (والحكمة) هنا النبوة والزبور ، (وعليه مما يشاء) صنعة الدروع ، ومنطق الطيور ، وغير ذلك (ولولا دفع الله) الآية : منة على العباد بدفع بعضهم ببعض ، وقرئ دفاع بالالف ، ودفع بغير ألف ، والمعنى متفق (تلك الرسل) الإشارة إلى جماعتهم (فضلنا) نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول : كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تخيروا بين الأنبياء ، ولا تفضلوني

مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا

على يونس بن متى : فَإِنَّ معناه النهى عن تعيين المفضول ، لأنه تنقيص له ، وذلك غيبة ممنوعة ، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بفضله على جميع الأنبياء بقوله « أناسيدولد آدم » لا بفضله على واحد بعينه ، فلا تعارض بين الحديثين (من كلم الله) موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة ، وقيل هو إدريس لقوله « ورفعناه مكانا عليا » فالرفعة على هذا في المسافة وقيل هو مطلق في كل من فضله الله منهم (من بعدهم) أى من بعد الأنبياء ، والمعنى بعد كل نبي لا بعد الجميع (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرهه تأكيداً وليبنى عليه ما بعده (أنفقوا) يعم الزكاة والتطوع (لا بيع فيه) أى لا يتصرف أحد في ماله ، والمراد لا تقدر فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا ويدخل فيه نفى الفدية لأنه بشرأ الإنسان نفسه (ولا خلة) أى مودة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه (ولا شفاعاة) أى ليس في يوم القيامة شفاعاة إلا بإذن الله فهو في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله ، وعلى هذا يحمل ماورد من نفي الشفاعاة في القرآن أعنى أن لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها ، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعاة على الإطلاق ومبالغة في التهويل وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعاة إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) قال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) هذه آية الكرسي وهي أعظم آية في القرآن حسبا ورد في الحديث ، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وفي غيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية ، والفرق بين السنة والنوم : أن السنة هي ابتداء النوم لانفسه : كقول القائل « في عينه سنة وليس بنائم » (من ذا الذى يشفع عنده) استفهام مراد به نفي الشفاعاة إلا بإذن الله فهي في الحقيقة راجعة إليه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير عائد على من يعقل من تضمنه قوله وله ما في السموات وما في الأرض ، والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم ، وقال مجاهد ما بين أيديهم الدنيا ؛ وما خلفهم الآخرة (من علمه) من معلوماته أى لا يعلم عبادته من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه (وسع كرسيه) الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش ، وهو أعظم من السموات والأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء ، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه مسكه (ولا يؤده) أى لا يشغله ولا يشق عليه (لا إكراه في الدين) المعنى أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
 اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىْ يُحْيِ وَيُمِيتُ
 قَالَ أَنَا أَحْيِ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِ هَذِهِ اللَّهُ

بل يدخل فيه كل ذى عقل سليم من تلقاء نفسه ، دون إكراه ، وبدل على ذلك قوله (قد تبين الرشد من الغي) أى قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي ، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه ، وقيل معناها المواعدة ، وأن لا يكره أحد القتال على الدخول فى الإسلام ثم نسخت بالقتال ، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة (بالعروة الوثقى) العروة فى الأجرام هى موضع الإمساك وشدة الأيدى ، وهى هنا تشبيه واستعارة فى الإيمان (لا انفصام لها) لا انكسار لها ولا انفصال (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (أولياؤهم الطاغوت) جمع الطاغوت هنا وأفرد فى غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله ، ولمن يضل الناس من الشياطين وبنى آدم (الذى حاج إبراهيم) هو نمرود المملك وكان يدعى الربوبية فقال لإبراهيم : من ربك ؟ (قال ربى الذى يحيى ويميت) فقال نمرود : (أنا أحيى وأميت) وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فقال قد أحييت هذا وأميت هذا ، فقال له إبراهيم : (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت) أى انقطع وقامت عليه الحجة ، فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثانى ، والاتقال علامة الانقطاع ؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة ، وهو فعل الله وبجازه وهو فعل غيره فتعلق نمرود بالحجاز غلطا منه أو مغالطة ، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى لأنه لا مجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو رأيت مثل الذى فُحِذِفَ لدلالة ألم تر عليه ؛ لأن كليهما كليتا تعجب ، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول رأيت كالذى حاج إبراهيم ، أو كالذى مر على قرية وهذا المأثر قيل إنه عزيز ، وقيل الخضر ، فقوله (أنى يحيى هذه الله) ليس إنكارا للبعث ولا استبعادا ولكنه استعظام لقدرة لذى يحيى الموتى ، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته ، لاشك فى وقوعه ، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة ، وقيل بل كان كافرا وقالها إنكارا للبعث واستبعادا ، فأراه الله الحياة بعد الموت فى نفسه ، وذلك أعظم برهان (وهى خاوية على عروشها) أى خالية من الناس ، وقال السدى سقطت سقوفها وهى العروش ، ثم سقطت الحيطان على السقف (أنى يحيى هذه الله) ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذى يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته ، والقرية كانت بيت المقدس لما أخبرها بختنصر وقيل قرية الذين خرجوا

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِنْ لَبِثْتُ مِنْ قَبْلِكَ لَئِيمٌ قَلِيلٌ قَالَ فَانْظُرْ إِلَى الطَّيْرِ فَسُرَّهُنَّ وَإِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

من ديارهم وهم ألوف (كم لبثت) سؤال على وجه التقرير (قال لبثت يوما أو بعض يوم) استقل مدة موته ، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظان أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس يخاف أن يكذب في قوله يوما فقال أو بعض يوم (فانظر إلى طعامك وشرابك) قيل كان طعامه تينا وعنبا وأن شرابه كان عصيرا ولبنا (لم يتسنه) معناه لم يتغير بل بقى على حاله طول مائة عام ، وذلك أعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة ، لأن لأمها هاء ، فتكون الهاء في يتسنه أصلية . أى لم يتغير السنون ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك تسنن الشيء إذا فسد ، ومنه الحما المسنون ، ثم قلبت النون حرف علة كقولهم قصيت أظفارى ثم حذف حرف العلة للجازم ، والهاء على هذا هاء السكت (وانظر إلى حمارك) قيل بقى حماره حيا طول المائة عام ، دون علف ولا ماء ، وقيل مات ثم أحياه الله ، وهو ينظر إليه (ولنجعلك آية للناس) التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس ، وروى أنه قام شابا على حاله يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا (وانظر إلى العظام) هى عظام نفسه ، وقيل عظام الحمار على القول بأنه مات (ننشرها) بالراء نحيها ، وقرئ بالزاي ، ومعناه نرفعها للأحياء (قال أعلم) بهمة قطع وضم الميم أى قال الرجل ذلك اعترافا ، وقرئ بألف وصل ، والجزم على الأمر أى قال له الملك ذلك (وإذ قال إبراهيم) الآية : قال الجمهور : لم يشك إبراهيم فى إحياء الموتى ، وإنما طلب المعاينة ، لأنه رأى دابة قد أكلها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال ، ويدل على ذلك قوله : كيف ، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه (ولكن ليطمئن قلبى) أى بالمعاينة (أربعة من الطير) قيل هى الديك ، والطاوس ، والحمام ، والغراب ، فقطعها وخالط أجزائها ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل ، وأمسك رأسها بيدها ، ثم قال : تعالين يا ذن الله فتطارت تلك الأجزاء حتى التأمت ، وبقيت بلا رؤس ، ثم كرر النداء فجأته تسعى حتى وضعت أجسادها فى رؤسها وطارت يا ذن الله (فصرهن) أى ضمنهن ، وقيل قطعهن على كل جبل ، قيل أربعة جبال ، وقيل سبعة ، وقيل الجبال التى وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد (فى سبيل الله) ظاهره الجهاد ، وقد يحمل على جميع وجوه البر (كمثل حبة) كل ما يزرع ويقتات وأشهره القمح ، وفى الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر فى آخر الكلام كمثل صاحب حبة (أنتت سبع سنابل) بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء فى الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنْهُ وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَ صُلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ
جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَمَاتَتِ أَكْطُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصَبَّهَا وَابِلٌ فَظَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ
أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة (والله يضاعف لمن يشاء) أى يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة ،
والأول أرجح ، لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه (الذين ينفقون) الآية : قيل نزلت في عثمان ، وقيل في عليٍّ
وقيل في عبد الرحمن بن عوف (منا ولا أذى) المن . ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتقريع بها ، والأذى
السب (قول معروف) هو رد السائل بحميل من القول : كالدهاء له والتأنيس (ومغفرة) عفو عن السائل إذا
وجد منه جفاء ، وقيل مغفرة من الله لسبب الرد الجميل ، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف
ومغفرة ، على العطاء الذى يتبعه أذى (لا تبطلوا صدقاتكم) عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات
فقالوا في هذه الآية إن الصدقة التى يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذى لا تقبل منه ، وقيل إن المن والأذى :
دليل على أن نيته لم تكن خالصة ، فلذلك بطلت صدقته (كالذى ينفق) تمثيل لمن يمن ويؤذى بالذى ينفق
رياء وهو غير مؤمن (فمثله) أى مثل المرائى فى نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبثة طيبة ، فإذا
أنزل عليها المطر انكشف التراب ، نبقى الحجر لا منفعة فيه ، فكذلك المرائى يظن أن له أجرا ، فإذا كان
يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته (صفوان) حجر كبير (وابل) مطر كثير (صلدا) أملس (لا يقدرُونَ)
أى لا يقدرُونَ على الانتفاع بثواب شئ من إنفاقهم وهو كسبهم (وتثبينا) أى تيقنا وتحقيقا للثواب لأن
أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق ، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان
باحتمال المشقة فى بذل المال ، وانتصاب ابتغاء على المصدر فى موضع الحال وعطف عليه وتثبينا ، ولا يصح
فى تثبينا أن يكون ، فعولا من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك فى المعطوف عليه وهو
ابتغاء (كمثل حبة) تقديره كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذى ينفقون (بربرة) لأن ارتفاع موضع الجنة
أطيب أثر بها وهوائها (فطل) الطل الرقيق الخفيف ، فالمعنى يكفى هذه الجنة لكرم أرضها (أيود أحدكم) الآية : مثل ضرب
الإنسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء ، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائى
المتقدم ذكره آنفا أو ذى المن والأذى ، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله ، فإذا كان وقت حاجة
إليه لم يجد شيئا ، فشبههم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابها الجائحة المهلكة ، أخرج ما كان إليها لشيخوخته ،

ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ إلا أن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ . وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَعَمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . لِلْفُقَرَاءِ

وضعف ذريته ، قالوا في قوله : وأصابه الكبر للرجال (إعصار) أى ريح فيها سموم محرقة (من طيبات ما رزقناكم) والطيبات هنا عند الجمهور : الجيد غير الرديء ، فقل إن ذلك في الزكاة فيكون واجبا ؛ وقيل في التطوع فيكون مندوبا لا واجبا ؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء (ومما أخرجنا) من النبات والمعادن وغير ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أى لا تقصدوا الرديء (منه تنفقون) في موضع الحال (ولستم بأخذيهِ) الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتساحبوا بأخذه وتعملوا من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه وإذا غمض بصره (الشيطان يعدكم الفقر) الآية : دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، ففي ضمن ذلك حرض على الإنفاق ، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ، وهى المعاصي ، وقيل الفحشاء البخل ، والفاحش عند العرب البخيل ، قال ابن عباس : فى الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله ، والفضل هو الرزق والتوسعة (يؤتى الحكمة) قيل هى المعرفة بالقرآن ، وقيل النبوة ، وقيل الإصابة فى القول والعمل (وما أنفقتم من نفقة) الآية . ذكر نوعين ، وهما ما يفعله الإنسان تبرعا ، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر ، وفى قوله (فإن الله يعلمه) وعد بالثواب ، وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله (إن تبدوا الصدقات) هى التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات (فعمما هى) ثناء على الإظهار ، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نعمة فى موضع نصب تفسير للمضمرة والتقدير فنعم شئ إبداءها (ليس عليكم هدام) قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام ، وذلك فى التطوع ، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا ، فالضمير فى هدام على هذا القول للكافر ، وقيل ليس عليكم أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق ، وترك المن والأذى والرياء ، والإنفاق من الخبيث ، إنما عليكم أن تبلغهم والهدى يسد الله ، فالضمير على هذا للمسلمين (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أى إن منفعتكم لكم لقوله «من عمل صالحا فلنفسه» (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تذكير لهم

الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

وشهادة بفضالهم ، وقيل ، اتنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ، ففي ذلك حرض على الإخلاص (للفقراء) متعلق بمحذوف تقديره الاتفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون (أحصروا) حبسوا بالعدو ، وبالمرض (في سبيل الله) يحتمل الجهاد والدخول في الإسلام (ضربا في الأرض) هو التصرف في التجارة وغيرها (يحسبهم الجاهل أغنياء) أى يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لفلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سببية ، وقال ابن عطية لبيان الجنس (تعرفهم بسيماهم) علامة وجوههم وهى ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود (لا يسألون الناس إحفا) الإحفا هو الإلحاح في السؤال ، والمعنى : أنهم إذا سألوا يتلففون ولا يلاحون ، وقيل هو نفى السؤال والإلحاح معا وباقي الآية وعد (بالليل والنهار سرا وعلانية) تعميم لوجوه الاتفاق وأوقاته ، قال ابن عباس : نزلت في علي فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت في علف الخيل (الذين يأكلون الربا) أى ينتفعون به ، وعبر عن ذلك بالآكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه ، والربا في اللغة الزيادة ، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة ، فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم أتقضى أم تربي ، فكان الغريم يزيد في عدد المال ، ويصبر الطالب عليه ، ثم إن الربا على نوعين : ربا النسئة ، وربا التفاضل وكلاهما يكون في الذهب والفضة ، وفي الطعام . فأما النسئة فتحرّم في بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة وفي بيع الذهب بالفضة ، وهو الصرف ، وفي الطعام بالطعام مطلقا ، وأما التفاضل فإنما يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام ، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل في المقتات المدخر من الطعام ، ومذهب الشافعى أنه يحرم في كل طعام ، ومذهب أبى حنيفة أنه يحرم في المكيّل والموزون من الطعام وغيره (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالجنون ، ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط ، والمس الجنون ، ومن تتعلق بيقوم (ذلك بأنهم) تعليل للعقاب الذى يصيبهم ، وإنما هذا للكفار ، لأن قولهم إنما البيع مثل الربا : رد على الشريعة وتكذيب للإثم وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد ، فإن قيل : هلا قيل إنما الربا مثل البيع ، لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز ، فالجواب : أن هذا مبالغة ، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع) عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا ، وقد عددناها في الفقه ثمانين نوعا (وحرم الربا) رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا ، وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۚ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ يَسَاءَ مَا يَدَّبَّرُوا ۚ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۚ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مِيسِرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ يَسَاءَ مَا يَدَّبَّرُونَ ۚ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ

الله و تحريمه (فله ماسف) أى له ما أخذ من الربا ، أى لا يؤخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) الضمير عائد على صاحب الربا ، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة ، فلا تؤاخذوه في الدنيا ، وقيل الضمير عائد إلى الربا ، والمعنى أن أمر الربا إلى الله في تحريم أو غير ذلك (ومن عاد) الآية : يعنى من عاد إلى فعل الربا وإلى القول . إنما البيع مثل الربا ، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار ، لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها في الكفار (يمحق الله الربا) ينقصه ويذهبه (ويرى الصدقات) ينميها في الدنيا بالبركة ، وفي الآخرة بمضاعفة الثواب (كفار أثيم) أى من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا ، وهذا يدل على أن الآية في الكفار (وذروا ما بقى من الربا) سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال في خطبته كل ربا كان في الجاهلية موضوع ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذى كان لهم على قريش ، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية (إن كنتم مؤمنين) شرط لمن خوطب به من قريش وغيرهم (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب) أى إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم ومعنى فأذنوا : أعلموا ، وقرئ بالمد أى أعلموا غيركم ، ولما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (لا تظلمون ولا تظلمون) أى لا تظلمون بأخذ زيادة على رؤوس أموالكم ، ولا تظلمون بالنقص منها (وإن كان ذو عسرة) كان تامة بمعنى حضر ووقع ، وقرئ ذا عسرة ، أى إن كان الغريم ذا عسرة (فنظرة إلى ميسرة) حكم الله للمعسر بالإظهار إلى أن يوسر ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه ، ونظرة مصدر ، معناه التأخير ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ ، وميسرة أيضا مصدر وقرئ بضم السين وفتحها (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إظهاره ، وباقي الآية وعظ ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا ، وقيل بل قوله : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، الآية . وقيل آية الدين المذكورة بعد (إذا تدايتم بدين) أى إذا عامل بعضكم بعضا بدين ، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا في تدايتم ليعود عليه الضمير في اكتبوه وليزول الاشتراك الذى في تدايتم ، إذ يقال لمعنى الجزاء (إلى أجل مسمى) دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول ، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد ، لأنه معروف عند الناس ، ومنعه الشافعى وأبو حنيفة ، قال ابن عباس : نزلت الآية في السلم خاصة يعنى أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها ، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعنى

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَيْهِ اللَّهُ فَلَْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ

أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما (فاكتبوه) ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية ، وقال قوم إنها منسوخة لقوله «فإن أمن بعضهم بعضاً» وقال قوم إنها على الذنب (وليكتب بينكم كاتب) قال قوم يجب على الكاتب أن يكتب ، وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وقال آخرون يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواء ، وقال قوم إن الأمر بذلك على الذنب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق (بالعدل) يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب ، وعند الزمخشري بقوله كاتب فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل ، وإن كان الكاتب غير مرضى ، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضياً في نفسه ، قال مالك : لا يكتب الوثائق إلا عارف بها ، عدل في نفسه مأمون (ولا يأب كاتب أن يكتب) نهى عن الإبابة ، وهو يقوى الوجوب (كما عليه الله) يتعلق بقوله أن يكتب ، والكاف للتشبيه أى يكتب مثل ما عليه الله أو للتعليل : أى ينفع الناس بالكتابة كما عليه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها (فليكتب وليملل) يقال أملت الكتاب ، وأملت به ، فورد هنا على اللغة الواحدة ، وفي قوله تمل عليه على الأخرى (الذى عليه الحق) لأن الشهادة إنما هي باعترافه ، فإن كتب الوثيقة دون إملاله ، ثم أقز بها جاز (ولا يبخس) أمر الله بالتقوى فيما يملئ ، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق (سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو) السفيه الذى لا يحسن النظر في ماله ، والضعيف الصغير وشبهه ، والذى لا يستطيع أن يمل الآخرس وشبهه (وليسه) أبوه ، أو وصيه ، والضمير عائد على الذى عليه الحق (واستشهدوا شهيدين) شهادة الرجلان جائزة في كل شيء إلا في الزنا فلا بد من أربعة (من رجالكم) نص في رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء ، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم ، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم ، ومنعها مالك والشافعي لنقص الرق (فرجل وامرأتان) قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع الرجال ، وقال معنى الآية : إن لم يكونا أى إن لم يوجدوا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان ، فرجل وامرأتان ، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لا في غيرها ، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل ، فيما لا يطلع عليه الرجال كالولادة والاستهلال ، وعيوب النساء ، وارتفع رجل بفعل مضمر تقديره : فليكن رجل ، فهو فاعل ، أو تقديره : فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله ، أو بالابتداء تقديره : فرجل وامرأتان يشهدون (ممن ترضون) صفة للرجل والمرأتين ، وهو مشروط أيضاً في الرجلين الشاهدين ، لأن الرضا مشروط في الجميع وهو العدالة ، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر ، وتوقي الصغائر مع المحافظة على المروءة (أن تضل) مفعول من أجله ، والعامل فيه هو المقدر العامل في رجل وامرأتان والضلال في الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها ، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولاً من أجله ، وليس هو المراد ، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ بِالْكُلِّ شَيْءٌ عَلِيمٌ ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ
وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْكُمْ بَعْضٌ فليؤدِّ الَّذِي أَوْ مِنْ أَمْنَتِهِ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا

وهو المراد ، فاقم السبب مقام المسبب ، وقرئ : إن تفضل : بكسر الهمزة على الشرط ، وجوابه الفاء في فتذكر ،
ولذلك رفعه من كسر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف ، وقرئ تذكر بالتشديد والتخفيف ، والمعنى
واحد (ولا ياب الشهاد) أى لا يمتنعون (إذا مادعوا) إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعى إليها ، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل
الشهادة وكتبها . وقيل إلى الأمرين (ولا تساموا أن تكتبوه) أى لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت ، سواء
كان الحق صغيرا أو كبيرا ، ونصب صغيرا على الحال (ذالك) إشارة إلى الكتابة (أقسط) من القسط وهو
العدل (وأقوم) بمعنى أشد إقامة ، وينبنى أفعل فيهما من الرباعى وهو قليل (وأدنى أن لا ترتابوا) أى أقرب
إلى عدم الشك فى الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أن فى موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن الكلام
المتقدم فى الدين المؤجل ، والمعنى إباحة ترك الكتابة فى التجارة الحاضرة ، وهو ما يباع بالنقد وغيره ، (تديرونها
بينكم) يقتضى القبض والبيونة (وأشهدوا إذا تبايعتم) ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا ،
وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : فإن أمن بعضكم بعضا ، وذهب قوم إلى أنه على
النذب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار ، والمعنى
على هذا نهى للكاتب والشاهد أن يضار صاحب الحق أو الذى عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه ، أو الامتناع
من الكتابة أو الشهادة ، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوى ذلك
قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا يضار ، بالتفكيك وفتح الراء ، والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب
والشاهد إذا يتما بالقول أو بالفعل (إن تفعلوا) أى إن وقعتم فى الإضرار (فإنه فسوق) حال بكم (ويعلمكم الله)
إخبار على وجه الامتنان ، وقيل معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية
لا يعطيه ، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم فى جواب اتقوا (وإن كنتم على سفر) الآية : لما أمر الله تعالى بكتب
الدين : جعل الرهن توثيقا للحق ، عوضا عن الكتابة ، حيث تنعذر الكتابة فى السفر ، وقال الظاهرية :
لا يجوز الرهن إلا فى السفر لظاهر الآية . وأجازه مالك وغيره فى الحضر لأن النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه
بالمدينة (فرهان مقبوضة) يقتضى بينونة المرتهن بالرهن ، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله
وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل ، والقبض للرهن شرط فى الصحة عند الشافعى وغيره ، لقوله تعالى
«مقبوضة» وهو عند مالك شرط كمال لصحة (فإن أمن بعضكم بعضا) الآية : أى إن أمن صاحب الحق المديان لحسن
ظنه به ، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن ، فأمر أولا بالكتابة ، ثم بالرهن ثم بالائتمان ، فللدين ثلاثة أحوال
ثم أمر المديان بأداء الأمانة ، أيكون عند ظن صاحبه به (ولا تكتبوا الشهادة) محمول على الوجوب (فإنه

الشَّهَادَةِ وَمَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۖ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ
آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

آثم قلبه (معناه: قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية في كتمان الشهادة، وارتفع آثم بأنه خبر إن، وقلبه فاعل به، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ، وآثم خبره، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هي الآئمة، لأن الكتمان من فعل القلب، إذ هو يضررها، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية: مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب، سواء أبدوه أم أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله، وفي ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: اهلكنا إن حوسبنا على خواطر أنفسنا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا سمعنا وأطعنا، فقالوا: فأنزل الله بعد ذلك: لا يكلف الله نفسا إلا وُسْعَهَا، فكشف الله عنهم الكربة، ونسخ بذلك هذه الآية، وقيل هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها، وذلك محاسب به، وقيل يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح، وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره، فإن قيل: إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ، فالجواب: أن النسخ إنما وقع في المؤاخذه والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه، فلفظ الآية خبر، ومعناها حكم (فيغفر لمن يشاء ويعذب) قرئ بجزء مما عطف على يحاسبكم ورفعها على تقدير فهو يغفر (آمن الرسول) الآية سببها تقدم في حديث أبي هريرة: لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية، وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم (والمؤمنون) عطف على الرسول أو مبتدأ، فعلى الأول: وقف على المؤمنون وعلى الثاني: وقف على من ربه والأول أحسن (كل آمن بالله) إن كان المؤمنون معطوفاً لكل عموم في الرسول والمؤمنون، وإن كان مبتدأً فكل عموم في المؤمنين ووجد الضمير في آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن (وكتبه) قرئ بالجمع أي كل كتاب أنزله الله، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس (لا تفرق بين أحد من رسله) التقدير يقولون لا تفرق، والمعنى لا تفرق بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان بل تؤمن بجميعهم، ولنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (وقالوا سمعنا وأطعنا) حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم (غفرانك) مصدر، والعامل فيه مضمرة ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك، وقيل على المفعولية تقديره: نطلب غفرانك (وإليك المصير) إقرار بالبعث مع تدلل وانقياد، وهاتمت حكاية كلام المؤمنين (لا يكلف الله نفسا إلا وُسْعَهَا) إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق، وهو جائز عقلا عند الأشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة (لها ما كسبت) أي من الحسنات (وعاها ما اكتسبت) أي من السيئات، وجاءت العبارة بلها

وَعَلَيْهَا مَا كُتِبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

في الحسنات لأنها مما ينفع العبد به ، وجاءت بعلمها في السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشر ما كتبت ، لأن في الاكتساب ضرب من الاعتماد والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أولان السيئات يجتد في فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتماد (ربنا لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أي قولوا ذلك في دعائكم وبجمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهل القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» ، وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة . قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ فردة وخنازير (ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق . أربعة أنواع : الأول عقلي محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثاني عادي كالطيران في الهواء . والثاني عقلي وعادي : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف ما يشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدر من الأمم ، ورفع عن هذه الأمة (واعف عنا وافر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخاة بالذنب ، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإعانة (مولانا) ولينا وسيدنا

سورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لا لتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزحشرى هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى في قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقا) قد تقدم في مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان